مجلة أسئلة و رؤى

مجلة دولية نصف سنوية | مجلد رقم: 03 عدد رقم:05 و 06

ISSN : 2773-2975 | E-ISSN 2830-8794

https://www.asjp.cerist.dz/ar/PresentationRevue/833

القضايا السياسية للشيعة في تونس بعد سنة 2011 من خلال صحيفة الصحوة التونسية : دراسة سوسيو-انتروبولوجية

The political issues of the Shiites in Tunisia after 2011 through the Tunisian "Sahwa" newspaper: a socio-anthropological study

هدى العربي	المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس	houda. larbi@gmail. com

تاريخ الارسال: 2023/02/14	تاريخ القبول: 2023/04/10	تاريخ النشر: 2023/04/22

الملخص بالعربية:

تتناول هذه الورقة إرهاصات نشأة التشيع في المجتمع التونسي، وطبيعة التشكّل التاريخي والاجتماعي لهذه الجماعة الدينية المكونة للمجتمع التونسي وإلى ملامحها السوسيو-ثقافية، ومرجعياتها الدينية وتتبعنا فيها أهم القضايا والمضامين السياسية التي تعكس رؤية هذه الجماعة ومواقفها من الفكر السياسي الشيعي، الذي ابتدع نظرية ولاية الفقيه. إضافة إلى التحول في مفهوم التشيع من التشيع التقليدي إلى التشيع الحديث، وتناولنا بعض المسائل السياسية عند هذه الجماعة والجماعة الدينية السنية، بالتركيز عند كل منهما على تباين الرؤية بين مفهومي الأمة والدولة الإسلامية عند كليهما.

الكلمات المفاتيح: الأقلية- الجماعة الدينية-التشيع التقليدي - التشيع السياسي الحديث- الأمة الإسلامية - الدولة الإسلامية -الإمامة.

مجلة أسئلة ورؤى

هدى العربي	المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس	houda. larbi@gmail. com

Abstract :

This article sheds light on the Shiite emergence, the nature of the historical and social formation of this religious group that consists of Tunisian society, its social and cultural characteristics, its religious authorities, and the most important political issues, principles that reflect the vision and attitudes of this group towards Shia political thought. In addition to the "tachayo" transformation from traditional to modern, I will deal with some political issues within that group and within the Sunni religious group, and I will focus on the difference between them.

Keywords: The minority - the religious group - traditional Shi'ism - modern political Shi'ism - the Islamic nation - the Islamic state - the imamate.

مجلة أسئلة ورؤى

هدى العربي	المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس	houda. larbi@gmail. com

مقدمة

اقترنت ولادة علم الاجتماع في الغرب بالتساؤل حول مستقبل الدين في المجتمع، وكيفية بروز المجتمعات المعاصرة من رحمه، وعن البدائل الجديدة التي سوف تشكل ملامح المجتمع، مع ما يتوافق مع متطلبات العقل والعلم والتقدم الاجتماعي لفك السحر عن العالم الاجتماعي[1]، فتشخيص الظواهر الدينية ونقدها من صميم العمل السوسيولوجي الذي يساعدنا على فهم تكون النظم وتحولاتها في المجتمعات. إن التطرق لتعددية الشيعة العرب إحدى الأقليات الدينية في العالم العربي مسالة أكاديمية مُغيّبة في بحوث مجالنا المغاربي؛ خاصة الدور الثقافي والسياسي والديمغرافي الذي تتمتع به.

إن ما دفعنا إلى البحث والكتابة في هذه المسالة هو قلة عدد الكتابات الأكاديمية التي تناولت الشيعة أو ظاهرة التشيّع بمضامينها السياسية التي ظهرت منذ أواسط الثمانيات. لقد نشرت بعض الدراسات المتفرقة التي تعود إلى ما قبل الثورة الإيرانية (1978)، إلّا أنها لم تظهر اهتماما بالشيعة على اعتبار أنها لم تقم دولة لها في التاريخ المعاصر، ونخص بالذكر الشيعة العرب [2]، كما أن قلة الاهتمام الأكاديمي بهذه الفئة التي تشكل قوة ثقافية واجتماعية وسياسية حتى من منظور علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، وتغييبها يؤدى إلى إغفال عنصر هام ساهم في الحراك السياسي والاجتماعي في المنطقة العربية يعكس تمايزات كبيرة في المجتمع.

إن المقاربات التي تناولت هذه المسالة ظلت متأخرة وبقي التناول سياسيا فقط، بمنطق يحصر هذه الفئة في التحالف أو العداء للولايات المتحدة الأمريكية، ودورها في حرب العراق وفي الحرب على المنطقة العربية، ومن هنا أصبحت هذه الفئة رهانا من حيث النشاط السياسي الذي تقوم به ومن سيضم إلى هذه الكتلة الديموغرافية المقلقة، من حيث هويتها السياسية المنضوية تحت الهوية الشيعيّة العابرة للحدود[3] ولمشروع سياسي بصياغة إيران في سياق احتقان طائفي واصطفاف سيُولد مواجهة بين القوى الإقليمية ونفوذها يؤدي إلى دور محوري يمكن أن تلعبه هذه الكتلة في تخفيف أو احتداد الاحتقان القائم.

ففي ظل التحولات الجديدة التي شهدها مجتمعنا منذ سنة 2011، برز فاعلون دينيون ساهموا في تغيير المشهد السياسي داخل المجتمع التونسي، وفي هذا الإطار اخترنا الشيعة التونسيين كأقلية طائفية دينية فقط _رغم ما تلعبه من دور محوري بين الفاعلين السياسيين_ في تونس ليطرح هذا عدة رهانات تفرض علينا تتبع هذه الفئة، وتشخيص واقعها من منحى سوسيو-انتروبولوجي.

فماهي إرهاصات نشأة الشيعة كجماعة دينية في المجال التونسي ؟ كيف تشكلت تاريخيا واجتماعيا كفاعلة سياسية؟ ما هي ملامحها الاجتماعية والثقافية؟ أية تراتبيات تخضع لها وسط الطبقة الدينية التي تحتويها؟ أية مرجعيات دينية

---

[1]. فك السحر عن العالم الاجتماعي désenchantement du monde social هو مفهوم اعتمده عالم الاجتماع ماكس فيبر ليعني به تصور الإنسان الحديث المتأسّس على العلم والعقلانية والتقدم وليس على الرؤية الدينية للعالم.

[2]. هناك قلة من الكتابات المعمقة حول هذه الفئة في الوطن العربي ونذكر كتاب جيوسين ويلي، الحركة الإسلامية الشيعيّة في العراق. أيضا كتاب جماعي بعنوان الشيعة العرب: الهوية والمواطنة، الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019.

[3]. نعني بهويتها العبرة للحدود عدم استبطانها للانتماء الجغرافي بقدر استبطانها للانتماء الديني.

هدى العربي	المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس	houda. larbi@gmail. com

تتبنى؟ وهل أن مجموع العلاقات الاجتماعية تستطيع هيكلة جماعة تتشكل داخل هذه الطبقة الدينية لتعكس فهمنا للواقع الاجتماعي؟ ما هي أهم المضامين والقضايا السياسية التي تحملها في مخيالها العقدي الشيعي؟ أية اختلافات فكرية وسياسية فيما بينها وبين الجماعة السنية؟ ما هو الفكر السياسي الذي تستند عليه في رؤيتها للعالم الاجتماعي؟

منهجية المقال:

اعتمدنا في هذا المقال على المنهج التفهمي والتاريخي أما تقنيات العمل الميداني السوسيو-انتروبولوجية، اخترنا تقنية الملاحظة بالمشاركة وتقنية تحليل المضمون لأعداد من الصحيفة[4] التي بدأت في الصدور سنة 2013 ، وتوقفت عن النشر خلال سنة 2017فاخترنا عينة عشوائية احتوت 12 عددا؛ متتاليا من شهر سبتمبر 2015 إلى شهر جوان 2016 حيث توفر12 عددا الكترونيا فقط، ومقابلات نصف موجهة مع بعض العناصر الشيعية في تونس، واعتمدنا تقنية تحليل المضمون؛ وهي تقنية لجمع المعطيات و المعلومات من مادة مقروءة وهي مجلة «الصحوة» للتعرف على القيم والمعاني الظاهرة و الباطنية للقضايا السياسية التي تتبناه الطائفة الشيعية في تونس وللتعرف على القيم والمعاني التي قد تؤثر في القارئ، ولتحديد وزن بعض المفاهيم في الفكر الشيعي بالنسبة لباقي المفاهيم، وهل لنا أن نطرح السؤال الآتي، هل أن هذه الفئة الدينية منحازة لقضايا معينة في المجتمع، أيضا والتعرف على دوافع وأهداف واتجاهات هذه الفئة من المجتمع التونسي والسياسات التي تدافع عنها.

سنعتمد من خلال هذا المقال نموذجين لتحليل مضمون هذه الصحيفة، الأول نموذج التحليل العام ونموذج التحليل الأفقي و الثاني الرأسي، إن نموذج التحليل العام للمضمون: تحسب تكرارات معنى محدد وحساب عدد جميع المعاني والمفاهيم في نفس المتن واحتساب نحسب درجة تأكيد، [5]أما نموذج التحليل الأفقي والراسي: فيطبق هذا النموذج في تحليل السياسات حيث يتم التحليل كما يلي: تحليل راسي وهو تحليل تفكيكي للأهداف العامة المكونة للسياسات إلى أهداف إجرائية أو فرعية أو جزئية وتحليل الأفقي وهو تحليل منطقي أي تحليل مكونات السياسة إلى شروط تحقيقها ومتطلبات تنفيذها وأساليب تقويمها ويتم الربط بين محاور التحليل الراسي والأفقي كما يلي: نكتب أفقيا أمام الهدف العام كل من الشروط والمتطلبات والتقييم ونكتب أفقيا أمام الهدف الجزئي الأول كل من الشروط والمتطلبات والتقويم و نكرر الخطوة السابقة مع باقي الأهداف الجزئية وبذلك نحصل على مصفوفة Matrix تحليلية للقضايا السياسية.

أما عينة المقابلات نصف الموجهة فنجد:

هـ،ع : مبحوث اصيل ولاية المهدية مهنته استاذ في التعليم الثانوي، متزوج وله 3 ابناء درس في الحوزة العلمية بقم في إيران وتشيع منذ الثمانينات.

---

[4]. إن هذه الصحيفة تمثل الجماعة الدينية الشيعية في تونس انظر الروابط الآتية : https://www.babnet.net/rttdetail-59216.asp
https://ar.tunisienumerique.com/54891
ir/ar/news/2481969.https://iqna
and-world/2013-https://www.alarabiya.net/ar/arab

[5]. درجة تأكيد المعنى يُساوي تكرارات المعنى المحدد على عدد جميع المعاني في المتن كله ضارب 100.

هدى العربي	المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس	houda. larbi@gmail. com

ه، ز : شيعية بالوراثة من ولاية قابس عمرها 32 متزوجة ولها طفل استاذة جامعية وتعتبر نفسها من عائلة شريفة تعود اصولها الى آل البيت.

ح، ق : متشيع اصيل مدينة سوق الاحد من ولاية قبلي عمره 56 سنة مهنته تاجر متزوج له 5 ابناء تشيع منذ بداية التسعينات.

الأقلية الشيعيّة في تونس: إرهاصات النشأة وطبيعة التشكّل التاريخي والاجتماعي

إرهاصات النشأة

الأقلية الشيعيّة جذور النشأة

أخذت فكرة نشوء الأقليات مكانة مهمة في الاتفاقيات المتعلقة بحقوق الإنسان في النصف الثاني من القرن العشرين، وما بعده، كحقوق تتأسس على النضالات الحقوقية والدستورية حول المواطنة، والعدالة، والمساواة والمشاركة السياسية في بيئات مختلفة، خاصة في الفكر الليبرالي الغربي المتأسس على فكرة الحق في المعارضة والاختلاف، مما ساعد على الاعتراف بها وبحقوقها الثقافية وتمثيليتها السياسية، إلا أنها موضوع إثارة سياسية في مجتمعاتنا العربية، ومحل استثمار للنزاعات والصراعات السياسية؛ مما يؤدي إلى بروز الهويات المفترسة و»هي التي يتطلب بناؤها وتنظيمها الاجتماعي فناء فئات اجتماعية أخرى قريبة منها، تم تحديدها على أنها تمثل تهديدا لوجود مجموعة النحن، حيث تتولد الهويات المفترسة بشكل دوري تُعبر عن تواجد هويتين أو أكثر لها تاريخ طويل من الاحتكاك والاندماج»[6]، هذه النحن لا تستمر إلا بانصهارها ضمن جماعة أو زمرة لها إطارها المرجعي لتستطيع أن تولد انتماء الأفراد لها، وتدفع قدرتهم على إنتاج أفعال تجد قابلية للتفاعل داخلها، إضافة إلى ذلك ما تولده من تماسك، وتراتبيات، تعكس مدى اندماج الفرد داخلها وانحيازهم لقيمها وثقافتها ورهاناتها ومصالحها، وهذا مرتبط طبعا بحجمها وطبيعة الروابط داخلها لفرض تواجدها في بيئة اجتماعية وسياسية معينة.

تُعرّف الأقلية «بأنها مقولة اجتماعية، وديموغرافية، حديثة العهد، وهي تفعّل اليوم مخاوف كثيرة حول الحقوق،[7] وحول المواطنة، والانتماء، ومبدأ الانتماء الأصلي، وحول الاستحقاقات التي تمنحها الدولة (أو شبح بقاياها)، وهي تدعو لاتخاذ طرق جديدة لدراسة التزامات الدولة، وحدود البشر، والسياسة بما أنها تتموقع في الخط الفاصل بين المواطنين خاصة والبشرية عامة؛ والأقليات لا تظهر مشكّلة مسبقا، بل تتشكل في الظروف الخاصة لكل امة، أوكل نزعة قومية... كما تحمل الذكريات غير المرغوب فيها لأحداث العنف التي أنتجتها الدول القائمة، وللتجنيد الإلزامي، ولعملية الصقل العنيفة

---

[6]. (سالم لبيض،17،2017.)

[7]. حقوق الإنسان وغيرها من الحقوق.

هدى العربي	المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس	houda. larbi@gmail. com

التي رافقت تشكّل هذه الدول»[8]، هذه الدول المصابة بوصمة عار في صورة النقاء الوطني الذي تحمله وعدالتها المشوهة التي تقوم بترويجها والدفاع عنها.

تكون الأقلية كيان معارض يتاح له مجال النقد وحق المعارضة إلى أن تصبح أغلبية، وتتسلم مقاليد الحكم لتغدو مشروع أغلبية حسب أطروحة «أرجوان أبادوراي» في كتابه الخشية من الأعداد الصغيرة دراسة في جغرافية الغضب[9]، إن الأعداد الصغيرة للأقليات لا تمنعها من أن تكون موضوع خشية وغضب، كما تحول الهوية إلى مضامين الافتراس يمر بتعبئة تعريف لنفسها على أنها أغلبية مهددة «فتتحول هويتها الاجتماعية من الأليفة الهادئة إلى المفترسة خاصة عندما تسعى لطمس الحدود بين الأغلبية والنقاء الوطني المكتمل. وهي نقطة مهمة فيما يخص الظروف التي تتقمص فيها الهويات صفة الافتراس»[10]؛ أي الحديث عن نرجسية الفروق البسيطة وهوما حدث في أوروبا الشرقية بين الصرب والكروات رغم القواسم المشتركة في تاريخهم ولغاتهم وهوياتهم، وبناء عليه» علينا أن نعي ذلك الاختلاف من خلال الاعتراف بحق الآخر في الوجود والتعرف على المختلف وفتح حوار معه لان في تعقله قطع كلي مع منطق الفرقة الناجية وحين نقطع مع ذلك الفهم نكون قد بدأنا في تقديم صورة أخرى عن الإسلام المتعدد الذي لا تحتكره سلطة أو جماعة لان في أبعاده الحضارية أسمى من الجماعات والسلطات المختلفة مهما كانت يافطاتها العقائدية والسياسية.»[11]

تتميز الأقلية «بوجود شعور تضامني داخلي يوحدها بمواجهة الأغلبية أي في الواقع الأقليات الأخرى من دون أن يلغي انقساماتها الداخلية ونزاعاتها الخاصة في الظروف الطبيعية التي تتسم بطابع المجابهة إذا تظهر التضامنات المحلية أو الأقلية في أوقات الأزمة الاجتماعية بالدرجة الأولى حيث يصبح الصراع على السلطة صراعا من اجل البقاء بينما تبقى التمايزات بين الجماعات خافتة لا تحمل أي شحنة سياسية خطيرة في الظروف الطبيعية وفي أوقات الازدهار»[12].

وعليه رأينا أن الاهتمام بالجماعات الدينية المتنوعة في وطننا العربي يحتاج إلى بحث لان الدين يؤثر على فعل الأفراد وحركة جماعاتهم، وسلوكاتهم داخل مجتمعهم كما يقر (ماكس فيبر Max Weber) لأنهم نتاج «التأثيرات التي تولدها الديانات على فعل الأفراد والمجتمع وحركتها والمعنى الذي يمكن استخلاصه من ذلك»[13]، وهو حمّال ل «نظام من الرموز يعمل على إيجاد حالات وجدانية ودوافع قوية حسب غيرتس(Clifford Geertz) تكون منتشرة في حياة البشر وذات أثر طويل المدى عن أيجاد تصورات خاصة بنظام عام من الوجود وتغليف هذه التصورات بهالة من الواقعية بحيث تبدو هذه

---

[8]. (سالم لبيض، 2017، 15.)

[9]. (أرجوان أبادوراي، 2010).

[10]. (سالم لبيض، 2017، 17.)

[11]. (لطفي حجي،2018، 24.)

[12]. (برهان غليون،2013، 34.)

[13]. (إكرام عدنني،2013، 219.)

هدى العربي	المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس	houda. larbi@gmail. com

الحالات الوجدانية واقعية على نحو فريد»،[14] حسب طرح قيرتس (Clifford Geertz)، فوجود الرمز هو دليل على جوهر الدين كما أن الرموز الدينية تنتج نوعين من المشاعر، توجهات وجدانية تكتسب معناها من الظروف التي يُعتقد أنها أو جدتها، ومن دوافع تكتسب معناها من الغايات التي يُعتقد أنها تنشد إلى تحقيقها، وبالعودة إلى التاريخ تعود جذور الجماعة الدينية الشيعيّة منذ مجيء الإسلام إلى تونس، والتي كانت تعرف بإفريقية، حضر إليها الكيان الشيعي بمكوناته العقدية والثقافية كما ورد في مقدمة «ابن خلدون» حول ردة البرابرة في شمال إفريقية عن الإسلام إثني عشرة مرة لرفضهم صيغة الفتوحات التي قدموا بها لنشر الدين الإسلامي في هذه الأرض، وهو موقف يعتبره البعض متطابق مع الكتابات الاستشراقية حول الإسلام في تونس، لكن تاريخ بعض الوقائع على يد مؤرخين في هذا المجال المغاربي يطرح عدة نقاط استفهام حول الصراعات وتأرجح هذا الفكر العقدي بين الانغراس والانبتات. ومن بين هؤلاء المؤرخين المغاربة نجد «بن عذاري» الذي أرّخ في كتابه «البيان المُغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب»[15]حول غلبة النفس العروبي للمسلمين القادمين إلى شمال إفريقيا على النفس العقدي الإسلامي وذكر منهم «عقبة بن نافع» وممارساته في معاقبة البربر وهم السكان الأصليون لافريقية لمحاربتهم العرب، وليس الإسلام؛ ورغم هاتان الروايتان التاريخيتان يبقى البحث في تكون الدول نسبيا يتطلب البحث والتدقيق لان الجدل بين الفرق والمذاهب الإسلامية لم يخلُمن الغايات والرهانات السياسية والدينية، فالسنة كجماعة دينية تتهم الدولة الفاطمية ومؤسسها «المعز لدين الله الفاطمي» قيامه بمجازر عديدة ضد هذا البلد وهي دولة شيعية بامتياز، أما خصومهم من أهل الشيعة فيتهمون الدولة الصنهاجية السنية والتي أسسها «المعز بن باديس» القيام بمجازر عديدة بحق الشيعة في شمال افريقية.

تبقى هذه البدايات الأولى مشحونة بنزاعات وصراعات تحكم البشر، تدور حول افتكاك السلطة والقيادة للقيام بما يسمى دولة الإسلام، حيث تعتبر كل جماعة دينية نفسها طائفة منزلة لإصلاح الواقع الإلهي، تعيش فيه الأمة هجمة على الإسلام وعقما للتجارب السياسية وبهذا هي تدعم مشروعية وجودها الإلهي والواقعي، معتبرة أن مصدر مشروعية وجودها متأت من الحتمية الإلهية للرسالة التي تحملها استنادا للآية القرآنية «إنّا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا»[16]، ولاعتبارات واقعية من اجل بناء نموذج مجتمعي آخر، فهي ترى في نفسها مشروعية الوجود مستعينة بالخطاب الميتافيزيقي والاجتماعي، أيأن وجودها مرتبط بإرادة ربانية وحتمية تاريخية لإنقاذ هذه الأمة وإصلاح حالها، أي أنها الطائفة التي ترفع لواء الحق، والعدل، والتحرر، و وجودها هو ناموس رباني لا يقبل الجدل، لإضفاء الشرعية على نشاط هو لتشريع التعددية بكونها فصيلا رساليا وجماعة صادقة ومرشدة للناس ترى أنها خير الأمة. وفي هذا الإطار سنسلط الضوء على الشيعة كجماعة دينية موجودة في تونس بالعودة إلى واقع البنية المجتمعية، نرى ان المجتمع متعدد الأديان والطوائف منذ القدم إلى يومنا هذا حيث توجد فيه أقلية يهودية

---

[14]. (طلال اسد، 2017، 54.)

[15]. (أبي العباس احمد بن محمد بن عذاري، 2013)

[16]. (القرآن الكريم، سورة الأحزاب، رقم 72.)

هدى العربي	المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس	houda. larbi@gmail. com

وأقلية مسيحية مقابل أغلبية مسلمة تتبع المذهب المالكي، والعقيدة الأشعرية إلى جانب المذهب الاباضي، والطرق الصوفية: كالشاذلية، والتيجانية، والقادرية، والعيساوية، والبوعلية... إضافة إلى كل هذا يوجد المذهب الشيعي، رغم أن معتنقيه أقلية لا يتجاوز عددهم «قبل الثورة أربعة آلاف شيعي تونسي واليوم يناهز عددهم ثمانية عشر ألف شيعي»[17]؛يرون أن جذورهم عميقة تمتد إلى تأسيس الدولة الفاطمية –العبيدية-الاسماعلية الذين اعتمدوا الأئمة الستة الأوائل بعد «علي بن أبي طالب» و «لم تعرف تونس في تاريخها أية جذور للشيعة الإثني عشرية»[18].

بالعودة إلى الوراء والنظر في تاريخ الصراع على الخلافة الإسلامية يرى بعض المفكرين في تاريخ الأديان أن التشيّع[19] ظهر نتيجة الصراع الذي نشأ على الخلافة بعد موت الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)، فقد برز أنصار يرون بأن «علي بن أبي طالب» أولى وأجدر بالخلافة، وبرزت هذه الظاهرة في صورة واضحة خلال «واقعة الجمل» وهي نتيجة «الصراع بين علي وطلحة والزبير بزعامة عائشة زوجة الرسول محمد وهذا راجع إلى كراهيتها عليا لموقفه في حادثة الإفك وبسبب خروجها، كما كان طلحة يريد الولاية على اليمن والزبير على العراق وعلي لم يُوافقهما»[20]، وانتصر في هذه الواقعة «علي بن أبي طالب»، بعد ذلك كانت «واقعة صفين» والتحكيم، وقد رفض معاوية مبايعة علي. مثلت هذه الوقائع النواة الأولى للمعارضة من اجل قضية سياسية، تمثلت في الانحياز ونصرة علي وخروج أتباع آخرون من صفه عليه، لهذا سميت هذه الجماعة الدينية «بالرافضة والروافض.»[21]

استمر الصراع بين أبناء وأحفاد علي والموالين للدولة الأموية، فتفرعت «حركات الشيعة إلى إثني عشرة فرقة آخرها الإثني عشرية؛ أما الخوارج أي الذين خرجوا عن علي اثر معركة التحكيم فقد تفرقوا إلى ثلاث فرق متباينة الازارقة والصفرية والأباضية، ولقد أثرت الانقسامات على وحدة الخلافة العربية والإسلامية ولم تهدا الصراعات إلى اليوم بين المذاهب المختلفة»[22]، وقد ارتكز فكر هذه الجماعة الدينية على أربعة مبادئ أساسية: العصمة، والتقيّة[23]، والرجعة، وإنتظار الإمام المهدي.

تعود كلمة شيعة في الأصل «للدلالة على جماعة اعتقدت بان الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة وبتعيين القائم بها بتعينهم، بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام، ولا يجوز إغفاله، ولا تفويضه إلى الأمة؛ بل يجب عليه

---

17. https://middle-east-online.com

18. (عبد اللطيف الحناشي، 2018، 116.)

19. من هؤلاء الباحثين سليمان التواتي المختص في الشريعة وتاريخ الأديان في جامعة الزيتونة في تونس.

20. (علي ابراهيم حسن، 1963، 287.)

21. (محمد الفاضل اللافي، 2011، 73.)

22. (البشير العربي،2017، 43.)

23. يُقصد بها الخوف والحذر خشية الضرر

هدى العربي	المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس	houda. larbi@gmail. com

تعيين الإمام لهم»[24]، إضافة إلى ذلك فإن المذهب الشيعي هو مذهب فقهي عقائدي سمي بالرافضة لأنهم رفضوا أئمة الخلافة أبوبكر وعمر وعثمان، «ويرتكز الفكر الشيعي على الأصول التالية : التوحيد والعدل والنبوة والميعاد والنبوة»[25]، كما ارتبط التشيّع قديما في تونس بوجود الدولة الفاطمية 909 م-969 م العبيدية الإسماعيلية الذين اعتمدوا على الأئمة الستة الأوائل بعد علي بن أبي طالب كمرجعية، وهم الحسن بن علي «المجتبي» والحسين ابن علي» الشهيد «وعلي بن الحسين زين العابدين، ومحمد بن علي الباقر، وتوقفوا عند إسماعيل بن جعفر الصادق، على عكس الشيعة الذين يؤمنون باثني عشر إماما آخرهم المهدي المنتظر»[26] الذي غاب وانه سيعود بالاستناد إلى أحاديث الرسول، وتعتبر الإمامة قضية مركزية في الفكر العقدي الشيعي لإبراز أحقية الإمام علي وان غيره ممن تولاها مغتصب لها بغير وجه حق فالولي عندهم هو الأولى والأحق، كما أن هذا الولي حسب تمثلات هذه الجماعة الدينية معصوم وراجع أي انه سيموت ويبعث لإحقاق العدل والحق حسب اعتقادهم. فالغيبة في الاعتقاد الشيعي ان الإمام الإثني عشر المهدي قد غاب.

يرى بعض الباحثين أن التشيّع «ارتبط بالمرحلة المبكرة للتاريخ الإسلامي على عكس ما سعى بعض المهتمين إلى ربطه بالدولة الفاطمية. وان ما بلغ المغاربة والتونسيين هو الظاهر من علم أئمة الشيعة وفضائلهم التي تستمد قيمتها ومشروعيتها من فضائل الرسول ومكانته وبناء على ذلك يمكن أن نعتبر التشيّع تشيعا عاطفيا لا يختلف كثيرا عن بداية التشيّع في الحجاز»[27]، يقوم التشيّع في المخيال الديني لهذه الجماعة على عدة مبادئ: منها طبيعة الصراع بين الخير والشر والذي ينتصر في نظرهم مبدأ الخير، إضافة إلى مبدأ الحق لا المصلحة ولا مجال للتسوية بينهما، فضلا على أن الغيبة تستبطن توجها مهدويا ونشورا حد منه في الحالات العادية مبدأ التقية الذي سرعان ما يتوارى في الأزمات الكبرى، تحمل هذه الجماعة الدينية فكرة التقية، وتقوم ممارستها على دفع الضرر وتحرزا منه، وذلك بإظهار مواقفه في قول أو فعل يخالف ما يعتقده المتقي بقصد دفع البلاء عن نفسه وماله وعرضه.

بناء على ما تقدم من أفكار تُعتبر فئة الشيعة في تونس وفي الوطن العربي، تركيبة مركبة تجمع بين القطري-القومي-المذهبي، تترجم تركيبة معقدة تجعل من حراكها الاجتماعي محكوما بهذه الهوية فتأثر بها سواء تم التعبير عنها شفاهة أو خطابيا، فهي «ظاهرة عربية مهما يكن رأينا فيها وأيا تكن المواقف الخاصة للشيعة العربية، فبرغم التشيّع الكثير التعقد يبقى القرن العشرون بالنسبة إلى مجمل الشيعة العرب عصر صحوة المستبعدين... فصحوة المستبعدين هؤلاء لا بد أن يكون لها تأثيرا مهم وأكيد على استقرار الأنظمة الحاكمة لما يتمتع به هذا العالم الشيعي الصاحي من روح نضالية وقتالية»[28]

---

[24]. (محمد الفاضل اللافي، 2018، 64.)

[25]. المبحوث ه، ع: مبحوث أصيل ولاية المهدية مهنته أستاذ في التعليم الثانوي، متزوج وله 3 أبناء درس في الحوزة العلمية بقم في إيران وتشيع منذ الثمانينات.

[26]. (عبد اللطيف الحناشي، 2018، 116.)

[27]. (صلاح الدين العامري، 2012، 65.)

[28]. (فرانسوا تويال، 2007، 30 -31.)

هدى العربي	المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس	houda. larbi@gmail. com

هذا في اعتقادهم وتمثيلاتهم للعالم الاجتماعي. كما أن منهجهم العيش في انتظار عودة الإمام الغائب فيما يناضلون من اجل العدالة على الأرض، وهكذا تتشكل رهانات هذه الجماعة الدينية لقيادة صراع كوني من اجل تثبيت مفاهيم سياسية جديدة لاستقرار العالم في نظرهم، وتحرير الإنسان وخلاصه من خلال تكوين حركة اعتراض ومعارضة سياسية نتيجة عملية الاستبعاد السياسي، وهوما جعلهم جاهزين دوما للعصيان والثورة أو لانفجار عنيف[29].

وينظر المتشيع إلى نفسه بكونه مستبصرا أي انه كان أعمى وضالا ثم اهتدى بتشيعه، فينصهر مع جماعته من اجل نصرة قضاياهم والدفاع عن خطهم الرسالي خاصة، وأن سياق بروز ظاهرة التشيّع الديني عولج كإشكال أمنى، وسياسي، ولم يُعالج كظاهرة أنتجها المجتمع، تعبر عن خيارات فئة اجتماعية ودينية بعينها؛ إلى جانب أن موقف النظام السياسي الرافض للتعددية كان مجالا خصبا لإنتاج الممارسات الشيعيّة في تونس، إلى جانب أنّ ضعف الثقافة السياسية التي تكرس مدنية الدولة أفرزت مثل هذه الظواهر الدينية ذات البعد السياسي. فتنبني الحياة الاجتماعية على مجموعة من المبادئ ذات تراتبية داخل الفضاء الاجتماعي الذي يشكل بدوره طبقات منضدة ومرتبة ومنغلقة عدا أنها تتعارض فيما بينها، حيث تهيكل مجموعات دينية داخل كل طبقة فنجد الجماعة السنية والجماعة الشيعية والجماعة الاباضية..، و»تعتبر المجموعة وحدة جماعية حقيقية ولكنها جزئية تُلاحظ مباشرة، تتأسس على مواقف جماعية متواصلة ونشطة لإنجاز ما لها من عمل مشترك، مجموعة مواقف وأعمال وتصرفات تشكل إطارا اجتماعيا مهيكلا بُغية تماسك نسبي لتجليات المؤانسة» [30]، هذه الوحدة يمكن أن تكون مادية أو رمزية. تسعى كل واحدة لتحقيق الأهداف المشتركة ولمشروعها العقدي، فيكون الانتماء إلى كل مجموعة وراثيا أو انتماء من اجل الحصول على مرتبة رمزية ودينية محددة - خاصة عند انتقال أفراد يتبنون المذهب السني إلى المذهب الشيعي، فيحصل هذا الحراك الاجتماعي من جماعة إلى أخرى ويؤثر على سيرورة جيل بأكمله- فيمتزج الموروث الديني بإرادة الأفراد ومدى تبنيهم لهذا المشروع الفكري والعقدي الديني، وهوما يُترجم الديناميكية الداخلية التي يعيشها المجتمع التونسي.

ملامح الشيعة السوسيو-ثقافية وجغر افيات تواجدهم في المجتمع التونسي

تعتبر هذه الجماعة الدينية أقلية بالنسبة لباقي مكونات المجتمع التونسي الذي تغلب عليه فئة جماعة السنة الذي يتبنى أغلبية أفراده المذهب المالكي هذا المشهد الاجتماعي رمزا للتعددية» يجعل من الخيارات الدينية أو غير الدينية عملية خيار شخصي حر وتضيف جرعة من النسبية في علاقة الأفراد بالدين... كما تدعم الدين وتحول دون سيطرة طائفة دينية وتمنح الأفراد طرقا كثيرة لإشباع تطلعاتهم الاجتماعية الدينية»[31]، وبناء عليه نجد صنفين من التشيّع في تونس فنجد صنفا الأول يكون تشيعا بالفطرة فيكون الشيعي على ولاية أهل البيت وحب أهله أما الصنف الثاني فهو التشيع بالاختيار

---

[29]. يمكن العودة إلى المرجعين التاليين في هذه المسالة: (عبد الإله بلقزيز، 2005) و(عبد السلام حيمر، 2008)

[30]. (Gurvitch), 1960, 187

[31]. (جان بول ويليم)، 2001، 157.

هدى العربي	المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس	houda. larbi@gmail. com

لشيوخهم، بوعي وباقتنا يختاره هو. تحتوي فئة الشيعة في تونس على عدد كبير من الدارسين وشيوخ الزيتونة[32]، ويفرق بين شيوخ الشيعة في تونس حسب لبس العمامة بالنسبة لشيوخهم فالعمامة السوداء نسبة لآل البيت أما البيضاء فهي علامة عن درجة علمية تم الحصول عليها داخل الحوزات العلمية والحوزة العلمية هي «تجمع علمي يضم مدارس عدة تتوافر فيها أعداد مهمة من الأساتذة وطلبة العلوم الدينية الشيعيّة الإثني عشرية وعادة ما يكون هذا التجمع العلمي برعاية دينية ومالية وقانونية من المرجعية الدينية.»[33]

تعتبر شيعة تونس أنّ لهم وجود قديم متجذّر في الموروث الثقافي واللغوي في اللهجة التونسية فيقول أحد المبحوثين «يوجد الموروث الشيعي في تسميات الأطفال، وفي تسميات الثمار فنجد تمر الفطيمي وقرية إستفطيميا في قبلي نسبة إلى فاطمة الزهراء صلوات الله عليها أيضا تسمية ثمار تمر أخرى تحت مسمى عليقيا وهو تضخيم لاسم سيدنا علي، أيضا العروس ليلة زفافها عندنا في جهة «نفزاوة» من منطقة قبلي لا يدخلها الأرجل اسمه محمد أو علي، زد على هذا عندما يقع طفل على الأرض أول ما تقول أمه حضر محمد وعلي»[34]، يتجلى هذا الموروث الفاطمي في مدن الجنوب التونسية خاصة، ففي مدينة «الحامة» تتحدث المبحوثة هـ، ز «ان ثقافة التشيّع متجذرة إلى الآن في الموروث الثقافي في الجنوب ففي مدينة «الحامة» إلى اليوم تلبس النسوة اللحاف الأسود»[35] وتقسم العائلات حسب صفاتها إلى عروش الزاوية وعروش الشرفة أيأن نسبهم شريف نسبة إلى الرسول محمد (ص) فقبيلتي الزمازمة مثلا هي قبيلة شريفة وتعود بأصولها إلى سيدنا الحسن الذي جاء أجدادنا من اجل نشر الدين والمرابطة في هذه الربوع»[36].

---

[32]. هي معلم وفضاء ديني يس الفقه الإسلامي يتم فيه تدريس الفقه الإسلامي له جذور تاريخية ضاربة في القدم.

[33]. (سعود المولى، 2016، 36-37.)

[34]. المبحوث ح،ق: متشيع أصيل مدينة سوق الأحد من ولاية قبلي عمره 56 سنة مهنته تاجر متزوج له 5 أبناء تشيع منذ بداية التسعينات.

[35]. اللحاف الأسود أو تسمى الفوطة أو الملحفة باللهجة العامية الجنوبية وهي تراث مادي يعكس ملامح الحياة الاجتماعية والدينية في مدن الجنوب التونسي تبرز أصالتها وتمسكها بتراثها التقليدي وهي عبارة عن قطعة قماش سوداء مزينة بخط في الوسط يختلف لونه وزينته حسب حالة المرأة متزوجة أو عزباء مرفقا طبعا بالحلي و زينة الجسد من حنة وحرقوس وغيرها من طرق الزينة التقليدية ، يكون لبسها مثل ارتداء السفساري في المناطق الحضرية، ويعد اللحاف الأسود من الموروث المادي الذي تعود جذوره إلى جماعة الشيعة في البلاد التونسية خاصة في المناطق التي استقروا فيها ن وبقي هذا اللحاف اللباس التقليدي الذي تتشبث به المرأة خاصة في مدن الجنوب التونسي.

[36]. المبحوثة ه،ز: شيعية بالوراثة من ولاية قابس عمرها 32 متزوجة ولها طفل أستاذة جامعية وتعتبر نفسها من عائلة شريفة تعود أصولها إلى آل البيت.

هدى العربي	المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس	houda. larbi@gmail. com

كما يؤكد المبحوثين أن العروش التي لها أصولآل البيت فعليا كان تتمتع بالخُمس[37] من الأماكن المقدسة «وهو فرض مالي محدد بنسبة تتعلق بأنواع من المال»[38] إلى بداية القرن العشرين، صفاتها «عروش شرفة» أنهم لا سيرقصون على أغاني التخمر والحضرة التونسية فالشريف يقوم فقط حفظ القران أو النطق بالشهادة في آذان الناس الذين يرددون ويرقصون على أغاني الحضرة أي أغاني أولياء الله الصالحين، كما يتمظهر الموروث الشيعي من خلال الحزن وتلاوة القران خلال العشرة الأيام الأوائل من شهر محرم وخاصة اليوم العاشر فيصوم اغلب الناس عاشوراء وقبله بيوم أو بعده بيوم ويتم تحضير بعض الأكلات الخاصة بهذه المناسبة، وتقول المبحوثة «في اليوم العاشر من محرم عاشوراء» يسلق البيض ويتم تلوينة والفول في الماء والملح، والأهل يقولون أن هذا البيض المسلوق كان طعام أهل البيت حين تمت محاربتهم، ويعطى أيضا كل طفل عصا من النخلة تسمى ب «الدّابُو» باللهجة العامية الجنوبية وقفة صغيرة يحملونه يوم عاشوراء و يتنقّلون بين بيوت الجيران يطلبون الفول نهارا والكسكسي واللحم ليلا ويردد الأطفال الغناء على الحسين في جوقة جماعية فيقولون :.دابويا دابو[39]... هاذي دار سيدنا تطعمنا وتزيدنا [40] هذي دار بوبشير[41]... فيها القمح والشعير...

هاذي دار بو الشنب فيها القمح والذهب هاذي دار بو ركبة فيها القمح للركبة ثم يقولون ابشر والا ينوب الله ؟؟

---

[37]. الخُمس هو فرض مالي محدد بنسبة {الخُمس} يتعلق بأنواع من المال، منها: غنائم الحرب، و المعادن، و الكنز، و الغوص، و المال الحلال المخلوط بالحرام، و الأرض الذي يمتلكها الذمي من المسلم، و أرباح المكاسب كأرباح التجارة و الراتب الذي يستلمه الموظف أو العامل و ما شابهه استنادا لقول قال الله عز و جل في القران : ﴿ وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة الأنفال الآية :41) ويعتبر واجب على كل مكلّف بالغ له دَخْل و مورد اقتصادي كالتاجر و الموظف و العامل و غيرهم، و يجب الخمس بعد مضي عام على حصول أول ربح في التجارة مثلا، أو على استلام الراتب بالنسبة إلى الموظف و العامل مثلا، كما و يجب على ولي الطفل أن يقوم بالمحاسبة الخمسية بالنسبة لأموال الطفل قبل بلوغه. هذا ومن لم يُخمِّس حتى الآن، ولم يخمس أمواله وَليُّهُ فالواجب عليه أن يقوم بالمحاسبة حالاً، و يجب الخمس في سبعة أمور أهمها أولا المعدن، كالذهب والفضة والنحاس والرصاص، والنفط والكبريت والملح وغيرها، ثانيا الكنز وهو المال المدفون في الأرض، إذا بَعُد عهده بحيث ينقطع عن مالكه ووارثه عرفاً لتقادم العهد، فإنّه يكون لواجده وعليه فيه الخمس ثالثا الجواهر ونحوها مما يستخرج بالغوص ونحوه من البحر رابعا المال المختلط بالحرام إذا لم يتميز الحرام منه عن الحلال ولم يعرف صاحبه، فإن إخراج الخمس منه يحلله. ومصرف الخمس في هذا القسم هو مصرف سائر أقسام الخمس خامسا ما يفضل عن مؤنة سنته له ولعياله من فوائد الصناعات والزراعات والتجارات والإيجارات وحيازة المباحات، بل جميع الفوائد حتى مثل الهبة والمال الموصى به ونماء الوقف والمهر وعوض الخلع والميراث الذي لا يحتسَب، لبُعد المورّث عن الوارث سبباً أو نسباً، بخلاف الميراث المحتسَب، لقرب المورّث، فإنّه لا خمس فيه، إذا حصل عند الوارث نماء أو منفعة مقابلة بعوض ثبت الخمس في النماء والعوض المذكورين.كل الأموال المتجمعة من الخمس تقسم في وقتنا الحاضر إلى قسمين قسم أول سهم الله ورسوله والإمام (ويسمى حق الإمام) وتعود هذه الأسهم جميعا إلى الإمام، وهي وارد من واردات الدولة الإسلامية، ولها أن تنفقها في كل مجال ترى فيه النفع والصالح العام بإذن الإمام، أو من ينوب عنه، كالعلماء، والمساجد، والمدارس، والجامعات، وأماكن نشر العلوم، والدعوة الإسلامية، وتسليح الجيش، وإنشاء الطرق، والجسور، ومساعدة الفقراء... وقسم ثان سهم الفقراء والأيتام والمساكين وأبناء السبيل من بني هاشم (يسمى حق السادة): فانه يعطى لهم لأنهم لا يعطون من مال الصدقات (الزكاة) وهم كل من ينتسب إلى هاشم جد الرسول(ص) في الماضي والحاضر والمستقبل.**http://arabic.al-shia.org**

[38]. /org.http://arabic.al-shia

[39]. الدابُوفي اللهجة العامية الجنوبية التونسية هو جريدة النخل الطويلة.

[40]. اي هذه دار الحسين مفتوحة لنا للأكل والشرب فهي دار البركة والرزق.

[41]. اي هذه دار مبلغ البشرى والبشائر الإمام الحسين.

هدى العربي	المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس	houda. larbi@gmail. com

فإذا أجابهم صاحب الدار إلى ما يطلبون قائلا ابشر جهزوا السلّة الصّغيرة لعطاياه، أما إن قال لهم «ينوب الله !!!» ردّدوا «الرّحى معلقه... والمرا مطلقه...» وأطلقوا سيقانهم للريح... وانتقلوا إلى منزل آخر وأعادوا الكرّة من جديد لعلّ حظّهم يكون أفضل هذه المرّة.

وفي اللّيل يشعل الصبية النيران في جريد النخل و»الكرناف» الذي اجتهدوا طيلة أسبوعين في جمعه من غابات المدينة وللصبية طقوس أخرى عند الجمع لعل أطرفها ترديدهم الحاج باقاج الله الله، فيرتفع دخانه في السماء، ويكاد يذهب بالابصار، ثم يتداولون على القفز فوق ألسنة اللهب معيّرين العاجز بالجبن وانعدام الرّجولة.

وهذه الطقوس التي وجدت في مدينة الحامة وفي غيرها من المدن التونسية وهي على صلة ببعض المعتقدات التي راجت في الدولة الفاطمية وبقيت آثارها في المخيال الشعبي.

فخروج النسوة من كل منزل لإعطاء الاطفال فولا وبيضا دال على القليل من طعام آل البيت في حصارهم وهي صدقة كصدقة لموتى ذلك المنزل ولشهداء معركة كربلاء، كما يرقص الأطفال الأولاد على النار التي يتم القيام بها بعد تجميع عصي النخيل ما يعرف عندنا بالدابوات وإشعالها بالنار حزنا على الحسين رغم أن اغلب أهل المدينة من السنة المالكية إلا أن الاحتفالات بالحسين لا ينقطعان في العاشر من محرم»[42]، ويقول مبحوث آخر[43] «يحرج أهل المدينة بعصي وشموع يرددون أغنية عن الرسول وعن آل بيته فيقولون:

اللهم مصلي عنبي[44] يامنة جابت علي[45] حليمة رباتا[46] سعدك يا حليمة ربيتي نبينا.»[47]

تُتلى أيضا في التسميات وفي كرامات الأولياء الصالحين و «يُحيي شيعة تونس كباقي شيعة العالم المناسبات الدينية الكبرى وأهمها عيد الغدير والمولد النبوي الشريف ومولد السيدة فاطمة الزهراء وإحياء محرم وذكرى عاشوراء الأليمة»[48] وتكون ممارساتهم لعباداتهم من خلال «تونسة الاحتفالات في مجالسهم بلطميات ضرب الصدور مخففة دون عراء ولا

---

[42]. المبحوثة ه،ز: شيعية بالوراثة من ولاية قابس عمرها 32 متزوجة ولها طفل استاذة جامعية وتعتبر نفسها من عائلة شريفة تعود اصولها الى آل البيت.

[43]. المبحوث ح،ق: متشيع اصيل مدينة سوق الاحد من ولاية قبلي عمره 56 سنة مهنته تاجر متزوج له 5 اطفال تشيع منذ بداية التسعينات.

[44]. اللهم صلي على النبي

[45]. امنة انجبت محمدا فهناك تطابق في المخيال الشعبي للرسول محمد (ص) وللإمام (علي) فبالنسبة إليهم توجد قواسم مشتركة عديدة تجعل من السيد عليا وليا يخلف الرسول.

[46]. حليمة السعدية مرضعة الرسول (ص) ربته واعتنت به.

[47]. المقصود منها وفقا للهجة العامية الجنوبية التونسية حظك الكبير يا حليمة لأنك اعتنيت بالرسول محمد (ص).

[48]. (عبد اللطيف الحناشي، 2018، 124.)

هدى العربي	المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس	houda. larbi@gmail. com

إسالة دماء كما لا يذرفون الدمع ولا يسيلون الدماء ولا يضربون بعضهم البعض ويكتفون بالأدعية وبإحساء ذكر أهل البيت وترسيخ ميلادهم واستشهادهم»[49].

تميزت طقوس هذه الأقلية في تونس بخصوصية ثقافية واجتماعية خاصة في مواكب العزاء والمآتم في محرم خاصة مع ما عُرف من عاشوراء في شهر محرم وهي طقوس دخيلة في حقيقة الأمر على الموروث الثقافي التونسي رغم وجود عدة رواسب للتشيع بحكم أن أغلبية المجتمع التونسي من السنة. وفي الأيام العشر من محرم يستحضر الشيعة استشهاد الحسين ويتيحون المجال لأتباعه للمشاركة في آلامه والتكفير عن جزء من ذنوبهم الفردية وعن الذنب التاريخي الجماعي الذي ارتكبه الشيعة بتخاذلهم عن نجدته بحسب اعتقادهم، «فالبكاء الجماعي طقس شيعي يعبر عن الألم يرافقها مرثية وموكب»[50]، يعبر عن ألم هذه الجماعة الدينية أي نواح يروي ما حدث في مدينة كربلاء يرافقها تناغم وتفاعل درامي مع المجموعة التي تتجاوب بالصراخ والهتاف يا حسين... يا حسين... يا حسين مع الضرب على الصدور؛ «إن الطقوس طرائق يلجأ إليها الإنسان ليتقي المحرم أو إحياء لتجربة مقدسة و التقرب بواسطتها إلى العالم المقدس تعويضا عما قام به من ذنوب و بهذا تصبح الطقوس أدوات تطهير النفس من تلك الذنوب»[51]، فهذه الشعائر في اعتقادهم تجعلهم يستحقون عليها الأجر والثواب وهي تدين وتكفير عن الذنب واستعداد لتحمل الألم فالشيعي المخطئ حسب تمثّلاتهم يستحق الموت، والموت وحده يُمثل خلاصه من خطيئته التاريخية وهوما يكسبه الحق والعدل الإلهي.

وجدنا انه من الصعب تحديد أماكن تواجد الأقلية الشيعية في تونس رغم إقرار اغلب المستجوبين أنهم يتواجدون في كل أماكن التراب التونسي، وفي كل التشكيلات السياسية تقريبا، ويمارسون حسينياتهم بصفة طبيعية لكن مبدأ التقية خوفا من الخطر يجعلهم يخفون تواجدهم لعدة اعتبارات أمنية ودينية. يتواجد شيعة تونس في عدة مناطق وتُعرف مدينة «قابس» بقم الإيرانية لكثرة عدد الشيعة فيها خاصة من العائلة التي حافظت على التشيّع منذ عهد حكم الدولة الفاطمية في تونس التي تركزت أكثر في هذه المدينة وفي مدن أخرى كالمهدية وتطاوين وسيدي بوزيد (سبالة أولاد عسكر) وقبلي (سوق الأحد) والقيروان والقصرين (منطقة الحنادرة) والساحل التونسي(طبلبة ومساكن)، وصفاقس وقفصة، ويعد نموذج بناء المجتمع لشيعة تونس في كل الأماكن يقوم على مرجعية آل البيت يرفض سلطة غير سلطة الله لا يتفاضل فيه الناس تسوده قيم العدل والحق والتحرر يطبق شريعة الله...مضمونه العودة للماضي وإحياؤه.

تأثرت الهوية الاجتماعية لفئة الشيعة في تونس بالبيئة المحيطة بهؤلاء الأفراد ويعتبر الدين جزءا مكونا لهذه الهوية فهي «تبنى بالتماثل والاختلاف بحسب ما يميزه الفرد عن غيره من الناس»[52]، عاشت هذه الجماعة الدينية غالبا مأزقا اغترابيا

---

[49]. (عبد اللطيف الحناشي، 2018، 124-125.)

[50]. (هانس هالم،2011، 59.)

[51]. (مراد الضويوي،2014، 147-148)

[52]. (البشير العربي، 2017، 43.)

هدى العربي	المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس	houda. larbi@gmail. com

عُنفوانيا وهوما دفعها إلى أن ترسم الهوية الشيعيّة بكونها الهوية الثقافية كمضيقا طائفيا، ترسم ثقافة عنيفة، ثقافة اختلاف وتمايز وتعارض مع الآخرين.

تعد الهوية محددا في الحراك الاجتماعي والسياسي لما تمثله من أطر مُتنوعة ومُعقدة من الانتماءات والروابط بعضها تقليدي (الهوية الدينية والمناطقية والطائفية) وبعضها حديث (الهوية الوطنية الانتماء إلى امة بمعناه الحديث) فهذه الأنماط من الروابط ليست مستقلة ومنفصلة بعضها عن بعض، بل متعايشة فيما بينها وتتفاعل أيضا. ولا تعكس ديناميكية الانقسام وفشلا أيضا في الاندماج الوطني ومشروع بناء الأمة في الذاكرة وفي رواية الماضي وفشلا في تعريف مفاهيم المواطنة كما يعكس الانقسام انقساما في الرؤية لشكل الدولة والنظام السياسي وقواعد الحُكم والمشاركة السياسية الاجتماعية وأزمة الدولة الوطنية في تحقيق الاندماج الوطني كما تعكس انقساما في فهم وتبني المقاومة والممانعة كما يطلقون على ذلك، والولاء للقوى الاستعمارية. وهوما جعلنا نتمثل أن الشيعة العرب تعبير مسيس يخفي وراءه رهانات سياسية تُكون أحيانا هوية سياسية ذات طابع وطني أو عابرة للحدود لها سياقات اجتماعية تتشكل فيها، وتفاعلات خاصة لها علاقتها مع الدولة الوطنية وهويتها العربية. وفي مستوى المشاركة السياسية هم مهمشون لا يتمتعون بسياسة متكافئة إذ يخضعون للتمييز وكأنها جماعة لها ارتباطها التضامني عابرة للحدود الوطنية وتربطها علاقة خاصة بإيران كجدار نافذ وقوي ومصدر للتشيع السياسي في تونس، أيضا يمكننا اعتبارها هويات ما قبل قومية تمثل ملاذا هويّتيا تطورت لتصبح كيانات سياسية.

أما ما يطلق عليه بالانبعاث الشيعي فهو تأثير بروز طائفة شيعية مثل ظاهرة حديثة ومعاصرة مرتبطة بالأيديولوجيات وبأوضاع سياسية، ترتبط هذه الحالة الشيعيّة بمستوى التحاليل الجيو-إستراتيجية وبالدولة مصدر هذه الطائفية وبالحركات الدينية كصانع للهوية الشيعيّة. ومن هنا يمكننا القول أن الطائفية تعكس صور الاستغلال من طرف القوى الإقليمية في حروب بالوكالة واستثمار للطائفة للضخ الإديولوجي في هذا الصراع أو للاتصال والدعم المباشر لان الهوية الشيعية هي من الهويات العابرة للدول وتُمثل تهديدا امني لبعض الأنظمة السياسية ويمكن أن تستخدم بكونها مهددة لها بوصفها قوة طامحة للتوسع أكثر في المنطقة، «إن النظر في بروز الهوية الطائفية على انه مجرد تعبير عن وضع سياسي أو اقتصادي، خضعت له جماعة بشرية مصممة معرفا مسبقا من ناحية، وان تحمل هذه الهوية معنى له تأثير مستقل أو جدته مشروعات فكرية أو ثقافية شيعية من ناحية أخرى»[53]. وهذا ما يفسر كون النفوذ الإيراني هو في قلب المسالة الشيعيّة في المغرب العربي، وعنصر تفسر انبعاث التشيّع السياسي فهي عمق هذا المذهب، وتمظهراته السياسية في الإسلام السياسي الشيعي حسب المرجعية السياسية للصحيفة التي ركزنا عليها العمل وتحليل، أو المضامين أو بناء على مقابلات عدة مبحوثين من هذه الجماعة الدينية. أدى ذلك إلى بروز الحركة الشيعيّة في تونس كحركة سياسية يُستند إلى هوية شيعية بدأت تتمظهر بتأسيس أحزاب سياسية وجمعيات دعوة للتعبير عن المظلومية الشيعيّة بايدولوجيا دينية شيعية تعكس ديناميكية حقيقة لهذه الفئة في مجتمعنا التونسي كما تعكس مسار بنا الأمة في بلدان تعزل فيه أقلياتها وطوائفها في ظل أزمات الداخل هي رهان تنافسي خارجي.

---

[53]. (احمد سعد العوفي، 2017، ص 516.)

هدى العربي	المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس	houda. larbi@gmail. com

فما يحفظ الوحدة الوطنية لهذه المجتمعات «هو أحد أمرين : أما نظام ديمقراطي مدني يقفز فوق التمايزات الدينية ويحقق المساواة بين المواطنين وأما حكم إملائي فوقي يفرض التماسك الوطني بقوة إرهاب السلطة وفي الحالة الأولى يكون التعدد غنى وتكون الوحدة الوطنية حقيقية وفي الحالة الثانية يكون التعدد قنابل موقوتة وتكون الوحدة الوطنية وحدة مزيفة تضعف قبضة السلطة حتى تتناثر هذه الوحدة الوطنية أشلاء.»[54]

إن ممارسة السياسة باسم الله «تضع القادة الدينيين كلهم وجها لوجه أمام ما سماه ماكس فيبر القانون الحديدي للعواقب غير المقصودة»[55] فغالبا ما تفلت عواقب الأفعال ويكون هؤلاء القادة مسؤولين عن المخاطر الأخلاقية التي يتسببون بها سواء خيرا أم شرا فيدفع بقية الناس ثمن أفعالهم ألما يعانونه طيلة حياتهم كما يمكن أن تحصل انقسامات اجتماعية تؤثر على نشأة أجيال وحضارات بأكملها، وينطوي العمل السياسي على مخاطرات وكوارث أحيانا لكن يبقى لذلك ما يبرره أخلاقيا في المجتمع، ففي حقيقة الأمر» لا يوجد أفعال لا تحركها المصلحة أمادية كانت أم رمزية كما انه لا يمكن لمفهوم المصلحة الرمزية أن يكسب قدرة تفسيرية إلا إذا دل على علاقات اجتماعية قوامها تبادل المصالح أو تعارضها لا على مجرد إحساس ذاتي بالمتعة لا يتجاوز الفرد كما انه في غياب ذلك يتحول إلى مفهوم مطاط أو إلى تلاعب بالألفاظ»[56].

يفتح ذلك المجال للحديث عن التحول الكبير من «التشيع التقليدي» إلى «التشيع الحديث» أو التشيع السياسي» داخل المجتمع التونسي وبتتبعنا لخطاب الفاعلين الذي تغير من الدفاع عن فكر معتقدي إلى الحديث عن مشروع حضاري للأمة الإسلامية من خلال توظيف عدة آليات وبرامج واستراتيجيات تكشف رهانات حاضر هذه الجماعة الدينية وجدنا أنه علينا أن نقف على ما يأتي من عوامل مؤثرة في هذا التحول.

التشيع من المفهوم التقليدي إلى التشيع بالمفهوم الحديث: أية عوامل؟

يجب على المثقف العربي أن يتجرأ إلى التطرق لجميع فئات وأقليات المجتمع بالبحث بكل موضوعية ودون أي تحيز أو خلفية» فمشكلة تجاهل فئات الوطن المتنوعة وخصوصياتها الثقافية هي مشكلة جميع الشعوب العربية، فهي تظل في العمق متأتية من العقلية التغريبية والقومية المهيمنة على النخب المثقفة في العالم العربي...وتبرز أكثر مع الطافية الدينية: شيعة، سنة...»[57]، وهوما يدفعنا للحديث عن العوامل المؤثرة في انتقال التشيع من التقليدي إلى الحديث، فعلى المستوى الإقليمي والدولي نجد عدة عوامل منها سقوط الدولة العثمانية وبالتالي لم يعد الإسلام راعيا في نظر هذه الجماعة الدينية، وكذلك بروز حركات سياسية وجماعات دينية ومن جهة أخرى أثر تواجد الاستعمار في المنطقة على تشكيل مشهد جديد أخذت فيه الطوائف الدينية والأقليات بصفة خاصة دورا جديدا في الخارطة السياسية، أضف إلى ذلك تزحزح موقفهم

---

[54]. (محمد السماك، 2000، ص 11.)

[55]. (محمد السماك، 2000، ص 8.)

[56]. يمكن النظر إلى بعض الفصول في هذا الكتاب لتعميق الفكرة أكثر (عبد اللطيف الهرماسي،2018)

[57]. (سليم مطر، 2003، 26.)

هدى العربي	المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس	houda. larbi@gmail. com

المتجمد لفرض الفتاوى بالجهاد ضد الاستعمار، وكذلك» قيام حركة فدائيان إسلام بقيادة «نواب صفوي» تعتبر قفزة نوعية في الفعل السياسي الشيعي الإثني عشري... وهي حركة قامت بتجنيد الشباب من أجل مواجهة النظام وتشكيل حزب دعوي سياسي كأداة نحو الإصلاح السياسي»[58] ومن هنا كان التدبير للثورة الإسلامية التي قامت في إيران.

تأثرت الحركة الإسلامية في تونس بأفكار ثورة الخميني[59] وكان لبعض علماء الدين الذين زاروا النجف دور في انتشار ظاهرة التشيّع في تونس ومنهم الإمام محمد التيجاني السماوي[60] منذ أواخر الستينات، فقد لعب هذا الإمام في منطقته وفي تونس عموما دورا بارزا لنشر المذهب الشيعي. فالمد الإسلامي وتأثيره على بروز الإسلام السياسي في تونس بدا مع الشيخ محمد التيجاني السماوي بعد لقاءه في النجف في فترة الستينات ببعض العلماء الشيعة منهم «محمد باقر الصدر»، أخذت دعوة هذه الشيخ منذ تلك الفترة وامتدت على كامل جهات البلاد كما تلونت ببعد سياسي وكان هذا في ظل وضع سياسي متوتر، إذ "أقدم النظام التونسي في عهد الرئيس الحبيب بورقيبة على قطع علاقاته بالجمهورية الإسلامية نظرا لعلاقته الوطيدة بحكم شاه إيران من جهة وإلى عداء بورقيبة نفسه إلى الجماعة الإسلامية التونسية التي ساندت الثورة الإيرانية، وتحمست لها بالإضافة إلى اتهامه إيران بدعم تلك الحركة. باتت المشكلة الرئيسية «بين السلطة في تونس والحركة الإسلامية تتحدد بطبيعة العلاقة بين الدين والدولة إذ أن الإسلاميين كانوا ينادون في تلك الفترة بالدولة الدينية التي تطبق فيها الحدود الشرعية بتفاصيلها وحذافيرها في حين أن السلطة اختارت منذ الاستقلال علمانية الدولة»[61]، فنتج الصراع الديني – العلماني بين الإسلاميين والدولة افرز تيار الإسلام الاحتجاجي كظاهرة اجتماعية.

علاوة على ذلك فان «هزيمة 1967 عجلت ببروز مظاهر المعارضة والرفض وكانت هذه فرصة للحركة الإسلامية لكي تملأ ما اعتبرته فراغا نتج من فشل تجربة العلمنة والتغريب ورأت في نفسها البديل فالحركة الإسلامية التونسية هي المعادل

---

[58]. (اسماعيل الشطي، 2013، 99.)

[59]. آية الله الخمينيهو السيد روح الله الموسوي الخميني (1902- 1989)، قائد الثورة الدينية الشعبية من المنفى، التي أسقطت شاه إيران محمد رضا شاه بهلوي عام 1979.توفي والده سيد مصطفى العالم الديني بعد ولادته بستة أشهر. وتوفيت أمه وخالته وهو في الخامسة عشرة من عمره، وتربى مع أخيه الأكبر فحفظا القرآن وتعلما مبادئ المذهب الشيعي معا، سافر الخميني إلى آراك لدراسة القانون الإسلامي، وفي بدايات العشرينيات تبع أستاذه راحلا إلى قم، حيث نبغ بين أقرانه وحصل على مرتبة آيه الله.لم يرض الخميني على تدخل القوات الأجنبية في إيران، وكتب عام 1941 ضد نظام محمد رضا بهلوي «كل الأوامر التي صدرت عن النظام الدكتاتوري ليس لها أي قيمة على الإطلاق» واصل مسيرته بالدراسة في مدينة النجف المدينة المقدسة عند الشيعة جنوبي العراق، حيث مكث هناك 13 عاما وكون مبادئه حول حكم الولي الفقيه والتي تنادي بأن يتولى رجال الدين الحكم، وقام الخميني بنشر معتقداته بين طلابه.في السبعينيات غادر النجف إلى باريس، ومن هناك بدأ الخميني يحث الإيرانيين على إسقاط الشاه وحليفته أميركا، وكانت رسائله تسجل وتستنسخ على أشرطة موسيقية وتهرب إلى داخل البلاد، وتوزع سريعا بين الناس، كما كان لرسائله التي تبث عبر المذياع أثر كبير في حث الناس على العصيان، الأمر الذي أدى في النهاية إلى سقوط الشاه وفراره من إيران في يناير/كانون الثاني 1979.عاد الخميني إلى إيران، وفي ديسمبر/كانون الأول 1979 أجيز الدستور الجديد وأعلنت إيران جمهورية إسلامية، وسمي الخميني إماما وقائدا أعلى للجمهورية، توفي الخميني في يونيو/حزيران من العام 1989. وللتعمق اكثر يمكن العودة لهذا لرابط: https://www.aljazeera.net

[60]. من مواليد سنة 1948 بقفصة التي تقع بالجنوب الغربي للبلاد التونسية وعلى المناطق الحدودية للجزائر درس بالحوزة العلمية بالنجف وكانت له لقاءات بعدة علماء شيعة مثل الخوئي ومحمد باقر الصدر.. ألّف عدة كتابات منها: ثم اهتديت لأكون مع الصادقين...

[61]. (المنصف وناس، 1988، 114-115.)

هدى العربي	المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس	houda. larbi@gmail. com

النافي لبورقيبة بكل ما يعني مشروعه وهي مثل غيرها من الحركات الإسلامية وليدة الأزمة»[62]. كما أن نمو الحركات الإسلامية وانتشارها في البلدان العربية والإسلامية يعد عاملا مهما في هذا السياق، فأثرت عدة موارد فكرية على الجماعة الإسلامية في تونس»، فنجد فكر الإخوان والجماعة الإسلامية الباكستانية وخصوصا البنّا وسيد قطب وأبو الأعلى المودودي»[63]، وفي أواخر السبعينات ستشهد خارطة الحركات الإسلامية «ظهور مد إسلامي توجته الثورة الإيرانية كان له تأثير كبير على الصعيدين الفكري والسياسي»[64] خاصة على أغلب نُشطاء حركة الاتجاه الإسلامي المعروفة بحركة النهضة التونسية.

منذ الثورة الإيرانية أصبح هناك مرجعية سياسية كبيرة للتشيع في تونس وهنا اخذ التذبذب بين هويتها العربية وإمكانية بناء مشروع سياسي يستند للهوية العربية (مسالة أزمة الدولة العربية الحديثة وفشلها في بناء مواطنية متكاملة (ليس بمعنى الحق والواجب بل بمعنى المشاركة السياسية المتكافئة كعنصر أساسي لتعريف المواطنة وبنائها) ولتجذير الهوية الوطنية بمنطق حدين أبعد من الهويات الدينية والطائفية وظلت مجالا لغلبة الهويات التقليدية ومن هنا بنيت أجهزة السلطة والدولة على هذا الأساس).

أثرت الثورة الإيرانية في تطور أحداث الحركة الإسلامية بتونس «فالحركة الإسلامية رأت في الثورة الإيرانية ثورة إسلامية تدعو لتحقيق أهداف الإسلام في محاربة الاستبداد والفوارق الطبقية والتبعية، والدعوة لان تكون إيران دولة إسلامية مستقلة عن الشرق والغرب تحرر المجتمع من الثقافة الاستعمارية المائعة ولذلك دعت الحركات الإسلامية الأخرى إلى تصحيح موقفها من القيادة الإيرانية، وانتقدت التأثيرات المحتملة لمخلفات الصراعات المذهبية بين السنة والشيعة وخصصت مساحات كبيرة من مجلتي «المعرفة» و«المجتمع» للوضع في إيران ودروس التجربة الإيرانية وفكر آية الله الخميني ومواقفه ونداءاته وتبرير الإجراءات القمعية التي اتخذها النظام الجديد ضد معارضيه وهوما أثر في الحركة الإسلامية بتونس وتطورها حيث ظهرت في خطابها تعابير مأخوذة من الخطاب الإيراني الإسلامي مثل «الثورة الإسلامية»، و «تقسيم العالم إلى مستضعفين ومستكبرين.» إلا أن هذه التعابير المأخوذة عن الترسانة اللغوية للحركة الإيرانية ليست سوى تجسيما لتأثير أعمق يمس القناعات الفكرية للحركة»[65]، لقد شكل الجانب العقائدي والسياسي الشاغل الرئيس للخطاب الشيعي الذي اثر على الطبقة الدينية وحركة التغيير في تونس بتبنيها خطاب إيديولوجي إسلامي هيمن عليه تفسير تآمري للتاريخ ورؤية عدائية للغرب.

يعد نمو الحركات الإسلامية وإشعاع الثورة الإيرانية في تلك الفترة من تاريخ تونس على يد رجال الدين والمثقفين الإسلاميين أعطى توجه الإسلام السياسيفي ذاته ارتباطا فيما سبقها ودعما لرؤيتها الفكرية ولمواقفها و اوجد أنصارا آخرين

---

[62]. (صالح زهر الدين، 529،2012.)

[63]. (عبد اللطيف الهرماسي، 1985، 74.)

[64]. (عبد اللطيف الهرماسي، 1985، 74.)

[65]. (عبد اللطيف الهرماسي،1985، 78- 79.)

هدى العربي	المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس	houda. larbi@gmail. com

للبديل الإسلامي. علاوة على القطيعة التي حصلت بين فئات المجتمع والنظام السياسي التونسي نتيجة تذبذب السياسات المتبعة مما اثر على إنتظاراتهم وتطلعاتهم وافرز أزمات اجتماعية وسياسية عديدة.

كما يعد نموذج الثورة الإيرانية في تمثّلات مؤسسي الحركة الإسلامية في تونس مثالا نوعيا في مرحلته الأولى نادى بالديمقراطية السياسية والتأميم والإصلاح الزراعي ومحاربة مقولات الرجعية والإمبريالية العالمية التي أسقطت مقولات الدين أفيون الشعوب لتحل مكانها مقولة الإسلام الثوري الذي يحمل نظرة للوجود يتلازم فيه الديني والسياسي متجاوزا الخلافات المذهبية الموروثة عن الفرق الإسلامية، مكرسة شمولية الإسلام كدين محمّلا بالمضامين الاجتماعية لفئة المستضعفين من جهة ويعادي الإمبريالية العالمية من جهة أخرى.

لقد قدمت الثورة الإيرانية مفاهيم جديدة للحركة الإسلامية في تونس مثل محاربة الاستبداد والتبعية السياسية للإمبريالية، والانحياز لفئة المستضعفين فعد «أملا للإسلاميين وتطلعا إلى عالم جديد إلى حضارة إسلامية جديدة مبشرة بنموذج جديد للاجتماع البشري يلتئم فيه ما فرقته حضارة الغرب من قيم الحرية والعدالة والتقدم المادي والإنساني، ومحاربة الصهيونية من منطلق الأصالة والذاتية وكسر احتكار الشعارات التقدمية والدفاع عن الكادحين.»[66] كما ساهمت الثورة الإيرانية في بلورة فكر الاتجاه الإسلامي في تونس باعتبارها نظرية في الثورة، والثورة على الاستغلال الاقتصادي والتبعية للقوى الاستعمارية لكن هذا لا يعني الاتفاق التام مع مبادئ ومنطلقات هذه الثورة، لقد بقي الاتجاه الإسلامي في تونس على تأييده للقيادة الدينية وسياساتها مع بعض التحفظ»[67] في سياق كانت «النواة المؤسسة والمبادرة للعمل الإسلامي بتونس متكونة من راشد الغنوشي وعبد الفتاح مورو و صالح بن عبد الله وصالح كركر والفاضل البلدي والهاشمي الحامدي والحبيب المكني وحميدة النيفر وعبد القادر سلامة.»[68] فنقلت «الخُمينية» الحركة الإسلامية من موقع مطالبة السلطات القائمة بالتزام شرع الله إلى موقع المطالبة بالسلطة، وهي تعبر عن «موقف الإعجاب والانبهار بالثورة الإيرانية عند انتصارها... وبحكم عوامل داخلية اندفعت الحركة الدينية في تونس إلى تأييد الثورة ممثلة فيها ما عرف بخط الإمام كما وجدت نفسها مدعوة إلى أن توفر لكوادرها وأنصارها أدبيات سريعة وعامة عن الشيعة بعد أن كانت برامجها التكوينية خالية تماما من هذا البعد.»[69]

بناء على ذلك «تأسست نواة شيعية في الجنوب التونسي حاولت أن تستفيد من نجاح الثورة وبتشجيع من بعض الجهات الإيرانية والعراقية في الترويج للمذهب الشيعي داخل الأوساط الشعبية وطلاب المدارس بما في ذلك استقطاب عناصر تابعة وموالية لحركة الاتجاه الإسلامي مما خلق حالات من الصراع كادت تؤدي إلى فتنة فامتد التشيّع ليصل إلى قيادات

---

[66]. (عبد اللطيف الهرماسي ،1985، 132.)

[67]. (عبد اللطيف الهرماسي ،1985، 132-133.)

[68]. (صالح زهر الدين ،2012، 530.)

[69]. (أسامة شحادة و هيثم الكسواني، 2011، 194.)

هدى العربي	المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس	houda. larbi@gmail. com

الاتجاه الإسلامي في تونس.»[70] كان دور التحولات السياسية في تونس مطية لانتشار ظاهرة التشيّع، فقد أسهمت مواقف جماعة الاتجاه الإسلامي في تونس بتبني شعارات الثورة الإيرانية واعتبروهم المجتهدين الذين احيوا التراث الإسلامي وقد وصل الأمر إلى حد تبني قادة هذا الاتجاه الإسلامي المذهب الشيعي وساهمت عودة الطلبة التونسيين الذين درسوا في الحوزات العلمية في المشرق، خاصة العراق في نشر هذا المذهب الشيعي في عائلاتهم، فبعد الثورة الإيرانية شجعت إيران شيعة العالم الإسلامي للدراسة بالحوزات العلمية الشيعيّة خاصة في مدينة قم الإيرانية والنجف بالعراق وروجت أن المسلم الشيعي هو المسلم الملتزم والعقلاني والمعارض لكل مرجعية ظالمة وغير عادلة.

كما لعبت القنوات التلفازية العديدة دورا فعالا في نشر هذه الظاهرة الدينية مثل «قناة المنار» و «قناة الكوثر» ومواقع الشيعة على الانترنت فثورة الانترنت سهلت انتشار هذه الظاهرة في المجتمع التونسي، وإقامة معارض متنوعة في عدة مناطق من الجهات التونسية بخصوص الأدبيات الشيعيّة، وساهمت التحولات السياسية في الوطن العربي بدور مهم ويعتبر انتصار حزب الله اللبناني الشيعي وتحريره لأرض عربية سنة 2000 وانسحاب العدو الصهيوني من الجنوب سنة 2006 وقيامه بعملية تبادل الأسرى الناجحة التي أدت إلى تحرير مقاومين لبنانيين وعرب تحولا سياسيا وعسكريا على خارطة الصراع العربي الإسرائيلي مما أوجد تعاطفا كبيرا من المواطن العربي المهزوم فوجد ضالته فيه، إضافة إلى العمل الدعوي حيث برز التشيع في الأوساط الجامعية «تحت اسم المسلمين السائرين على خط الإمام في بداية الثمانينات في أطر الجامعة وخارجها»[71] خاصة خلال فترة الثمانينات فأثر على تزايد عدد المناصرين الذين التفّوا حول مؤسسة «آل البيت» وانتشر في بداية التسعينات مع محنة حركة النهضة.

وفي عام 1990 أعاد الرئيس «زين العابدين بن علي» للدولة التونسية علاقاتها الدبلوماسية مع إيران في إطار تكتيكي قام به فأفرز هذا عودة الإسلاميين للساحة السياسية والتوجه للاهتمام بالمذهب الشيعي «كما تعمقت علاقة ومصالح الدولتين بإنشاء لجنة مشتركة تجتمع مرتين في السنة وتوطدت العلاقة بدعم تونس لإيران في مجلس حكام الوكالة الدولية للطاقة الذرية لاستخدامها السلمي للطاقة النووية، كما تأسست جمعية أهل البيت الثقافية والتي كان مؤسسوها من الذين تشيعوا من المذهب السني إلى الشيعي وتسربوا إلى هياكل الحزب الحاكم التجمع الدستوري الديمقراطي أيضا تسربوا إلى عدة منظمات شبابية منها الكشافة التونسية»[72]، فترك النظام السابق مساحة للتشيع في تونس» هناك من اعتبر أن ظاهرة التشيع في تونس بعد الثورة الإيرانية هي صفقة بين النظام السابق لبن علي والحكومة الإيرانية»[73]، كما

---

[70]. (اسامة شحادة و هيثم الكسواني، 2011، 194.)

[71]. (أسامة شحادة و هيثم الكسواني، 2011، 198.)

[72]. (عبد اللطيف الحناشي، 2018، 118-119.)

[73]. زهير لطيف برنامج في الصميم الجزء الأول على الرابط التالي: https://www. youtube. com/watch?v=j3bO2PraM5Y

هدى العربي	المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس	houda. larbi@gmail. com

يعتقد أن «محنة الحركة الإسلامية في تونس قد استفادت منها جماعات شيعية وثقت علاقتها بالنظام التونسي الأمر الذي فتح أمامها مجال العودة مقابل حظر الحركة الإسلامية وخطة تجفيف ينابيعها واستئصالها»[74] كاتجاه إخواني، سني.

من بين العوامل الأخرى التي ساعدت على انتشار المذهب الشيعي نجد تعدد المكتبات التي تبيع، وتوزع أدبيات الفقه الشيعي، وتاريخ التشيّع في تونس ونشره، والسماح بتداول مجلات مثل «الشهيد» و «كيهان العربية» و «الوحدة» والسعي إلى استقطاب التونسيين خارج الوطن خاصة في فرنسا من خلال إرسال الكتب لأئمة الجوامع وغيرها من المواطنين التونسيين. وكذلك في وسائل النقل مثل الطائرات والبواخر القادمة لتونس أيضا تسهيل الذهاب إلى إيران لزيارة قم والعراق لزيارة النجف والاحتفال بذكرى الثورة الإيرانية. كما ساهمت الجمعيات ذات الطابع الدعوي في الاستقطاب مثل «جمعية أهل البيت الثقافية» في مدينة «قابس» بالجنوب الشرقي التونسي. وإحداث مراكز بحوث تُعنى بالشأن الشيعي في تونس ومنها «مركز آل البيت للبحوث والدراسات العلمية بتونس» ورئيسه «احمد سليمان»، كما قام بعض الشيوخ آخرون «بعملية الاستقطاب لفئات عديدة من المجتمع فنجد في مدينة قابس الشيخ مبارك بعباش.»[75]

جدول رقم 1: رموز الشيعة في تونس

الوظيفة	التحصيل العلمي والمهنة	سنة الميلاد	الجهة	الاسم
من قيادات الاتجاه الإسلامي في تونس	أستاذ زيتوني	1935	أصوله من الجنوب الغربي (قبلي) لكنه مقيم في الجنوب الشرقي (قابس)	مبارك بعداش
شغل رئيس مركز الدراسات العقائدية فرع تونس	مهندس ميكانيك وأستاذ جامعي	1966	سيدي خليف من ولاية سيدي بوزيد	منصف الحامدي
كان صوفيا ومن عائلة تتبع منهج التيجانية من كتبه» ثم اهتديت»	دكتور في الفلسفة درس أستاذ في التعليم الثانوي	1943	قفصة	التيجاني السماوي
تشيع تأثرا بالثورة الإيرانية.	خبير في مجال التامين	1940	قابس	حسن بن شقرا
رئيس جمعية آل البيت الثقافية	+	+	قابس	عماد الدين الحمروني

[74]. (عبد اللطيف الحناشي، 2018، 126.)

[75]. هوزيتوني التكوين ومن مؤسسي حركة الاتجاه الإسلامي في تونس.

هدى العربي	المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس	houda. larbi@gmail. com

من كتبه: الصحابة في حجمهم الحقيقي	أستاذ انجليزية	1968	قابس	الهاشمي بن علي رمضان
كتاباته دراسة مقارنة في التوحيد والنبوة	متحصل على شهادة ختم الدروس الثانوية	1953	قبلي	محمد الرصافي المقداد

المصدر: العمل الميداني[76]

يمثل أغلبية رموز شيعة تونس من أوساط الجنوب الشرقي والغربي التونسي، كما أن مهنتهم كانت غالبا في التعليم أو التجارة وقد قاموا بنشر الفكر العقدي في أوساط ينتمون إليها سواء بالاتصال أو النقاش أو توزيع الكتب والمجلات أو كتابة كتب ونشرها مثل أعمال «الهاشمي بن رمضان»، «الصحابة في حجمهم الحقيقي» وكتاب «حوار مع صديقي الشيعي.» وينقسم شيعة تونس إلى مرجعيتين دينيتين، المرجعية الأولى المرجعية العراقية أيمن يعترف بمركزية المرجعية العراقية أي الحوزة العلمية للنجف والتي تقوم على الجمع «بين عدة مفكرين شيعة أبرزهم من سيكون لديه دور رائد ومكانة كبرى في الحراك الفكري والسياسي في العالم الشيعي... لقد كانوا يعملون تحت جناح المرجعية الدينية للسيد «محسن الحكيم» وباقي الأسماء[77] صاحب فكرة تأسيس حزب الدعوة والذي ترك كتابات حول معنى الإمامة وفقه المرجعية الصالحة عند أهل البيت»، [78] كما كتب في فقه الزعامة الدينية وأكدت أعماله على ضرورة التنظُّم والدخول للحياة السياسي وان دور المرجعية الدينية الإصلاح، كما تميزت هذه المدرسة العلمية بمفكرين آخرين وهم محمد باقر الصدر[79]، ومحمد مهدي شمس الدين،[80] ومحمد حسين فضل الله[81]، لهم كتابات فقهية وفكرية غزيرة ومتنوعة على اختلاف وتفاوت مقارباتهم النظرية المتعلقة بالمرجعية الحزبية والدولة المدنية والمواطنة والذين هم أقرب بقبول الطابع المدني للدولة الحديثة بمفاهيمها السياسية للمواطنة والديمقراطية والمشاركة السياسية، ومرجعية ثانية وهي المرجعية الإيرانية أي صنف آخر يعترف بمركزية المرجعية الإيرانية والتي تعود إلى الاعتراف بالحوزة العلمية لمدينة قم، هذه «المرجعية لديها شروط وهي البلوغ والعقل والأيمان أيأن يكون شيعيا إثني عشريا والذكورة والاجتهاد والعدالة وطهارة المولد والحياة والأعلمية أيأن يكون

---

[76]. ملاحظة : العلامة (+) تعني عدم توفر المعلومة الثابتة والصحيحة.

[77]. هو احد القيادات الفكرية الشيعيّة تم اغتياله في السودان سنة 1988 وهو شقيق محمد باقر الحكيم الذي اغتيل أيضا سنة 2003.

[78]. (سعود المولى،2016، 3.)

[79]. اعدم في بغداد سنة 1988.

[80]. توفي سنة 2001.

[81]. توفي سنة 2010.

هدى العربي	المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس	houda. larbi@gmail. com

اعلم من باقي المراجع بمعنى المجتهد المقلد ضمن رسالة علمية وهي عبارة عن كتاب فقهي يذكر فيه المجتهد فتاواه للمقلدين»[82].

جدول رقم 2: صحيفة الصحوة : أهم القضايا.

المحور	نسبتها المائوية	عدد المقالات
التشيع السياسي الحديث	15.36%	96
تداخل الديني والسياسي	3.68%	23
المشروع السني ودولة الخلافة	15.52%	97
المشروع الشيعي (الإمامة ومشروع الامة الإسلامية)	15.84%	99
ولاية الفقيه وولاية الأمة على نفسها	12.64%	79

المصدر: العمل الميداني

لقد احتل المشروع الشيعي من خلال ترويج أفكار الإمامة ووحدة الأمة الإسلامية اكبر نسبة للمقالات المنشورة والمتمثلة ب15، 84 % في العينة المختارة لصحيفة الصحوة، لقد طغت على المواضيع المنشورة الصبغة العقائدية، وبرزت فيها الاهتمامات الأخلاقية بصورة واضحة تلاه النقد للمشروع السني وما أفرزه في اعتقادهم من حركات إسلامية وغيرها من الفصائل والجهات العنيفة منها داعش وجبهة النصرة وغيرها وهذا ما تسبب في أزمات اجتماعية وسياسية عديدة مزقت الأمة في نظرهم وخلقت مشاكل إستراتيجية بين أقطاب الصراع المنقسمين حسب اعتقادهم إلى محور داعم للوجود الأمريكي الصهيوني تقوده السعودية محور آخر مقاوم وممانع تقوده إيران. وتم تناول مُعظم المواضيع من زاوية تموقع الفاعل الشيعي بين المسالة القومية وبين مشروع الإسلام العالمي لتأسيس امة إسلامية مُوحدة، لي تأرجح هذا الخطاب بين المقاربتين السياسيتين ولي خرج في مواقفه حول القومية العربية عن الخط المعروف للحركات الإسلامية حسب ما يطرح في مضامين المقالات المنشورة فهولا ينفي الانتماء إلى العرب كقوم وأنهم أصحاب الفضل في رفع راية الإسلام وإقامة دولة الإسلام على اعتبار أنهم الأكثر قدرة على فهم القرآن لكن هذا لا يعني تخليه عن مشروعه السياسي والديني وهو لم يثبت قدرة المشروع الشيعي على الدفاع على أن يكون مشروعا بديلا فينتقد في عدة مقالات فشل الحركات القومية في الوطن العربي وعدم قدرتها على توحيد الأمة والدفاع عن ثرواتها ومقدساتها فهو يطمح لان يعمل على ذلك لهذا يُعطي لنفسه مشروعية الدفاع عنها لتثبيت وحدتها في نظره وهذا في اعتقادنا يمكن أن يكون مغالطة سياسية وحكما قاطعا تتبناه هذه الجماعة وتروج له لمزيد الاستقطاب السياسي.

وتعبر الصحيفة عن نظرتها للصراع في المنطقة وهو موقف للتصور السياسي الشيعي مؤكدة بان الصراع هو توظيف للأزمات العربية أي أنه تدخل من القوى الأجنبية بكل وضوح في المنطقة العربية مما جعل عدة مناطق بؤرا للتوتر مثل سوريا واليمن والعراق وليبيا، فتعبر مواقفها عن الانحياز للقضايا العربية فيؤكد على ضرورة إنهاء الصراع في بؤر التوتر ليقف جميع الشرفاء والأحرار بالنسبة إليها صفا واحدا في وجه الكيان الصهيوني وان كل من ينحاز له يتهمه بالعمالة والمساهمة في حرب بالوكالة حسب وجهة نظرتهم ومقاربتهم للحيز السياسي في المنطقة.

---

[82]. (سعود المولى،2016، 40.)

هدى العربي	المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس	houda. larbi@gmail. com

كما تطرقت الصحيفة من خلال مقالاتها لمضامين مفهوم الديمقراطية فيُعتبر الخطاب السياسي الشيعي من خلال صحيفة الصحوة أن النظام الإسلامي أسمى من كل النظم الوضعية التي خلقها البشر وأن الإسلام يتضمن كل ما نحتاجه لتسيير وإدارة المجتمع وأن المنهج الإسلامي يقوم على الحاكمية لله ورفض كل سلطة غير السلطة الإلهية تتلوها سلطة المرشد الأعلى الإيراني كولي فقيه للإمام المغيب المهدي المنتظر.

نتبين من خلال القضايا التي أبرزتها الصحيفة العلاقة بين الدين والطبقات الاجتماعية فهي مسالة مهمة تتجلى من خلال ممارسات الفاعلين الاجتماعيين وما ينتجونه اجتماعيا، فالدين أكثر من مرآة أو رمز تعكس المشاريع التي تدافع عنها كل مجموعة، وأنها تعكس تراتبية في تبني الأفكار والقيم الدينية، فالانتماءات الدينية تعزز الانتماء إلى مكانات محددة داخل كل مجتمع، وتعبر الممارسات الاجتماعية على دلالة الانتماء إلى هذه المجموعة الدينية أو غيرها، إن تعدد المواقف الاجتماعية تجاه الدين يدل على الانتماء إلى مجموعة دون سواها والى طبقة دون غيرها مثل التموقع في المجموعة السنية أو المجموعة الشيعية. فالحياة الاجتماعية تنبني بشكل بديهي على مجوعة من المبادئ التراتبية وهنا نستحضر قولة جورج «بلاندي GeorgeBalandier» لا يوجد مجتمع بدون سلطة سياسية ولا سلطة بدون تراتبيات وعلاقات تفاوت بين الأفراد والمجموعات الاجتماعية، يجب على الأنثروبولوجيا السياسية أن لا تنفي، ولا تستخف بهذه الظاهرة، فمهمتها عكس ذلك تماما، وهي توضيح الأشكال الخاصة التي تتخذها السلطة والتفاوتات التي تعتمد عليها»[83]، بُغية انتاج تمثلات العالم الاجتماعي هو جانب أساسي في الصراع السياسي، «ذلك ان الصراع من اجل التراتبيات الاجتماعية يعتبر بعدا أساسيا في صراع الطبقات فبواسطته يتدخل الإنتاج الرمزي في الصراع السياسي حيث توجد الطبقات مرتين، مرة بصفة موضوعية ومرة ثانية في التمثل الاجتماعي الواضح بقدر ما لدى الأفراد والذي يشكل رهان الطبقات»[84]، فتستغل المجموعات الدينية الاستعارات الفضائية – التشريحية لهيكلة الفضاء الاجتماعي لتؤسس نظرتها للعالم، فتشكل مسالة الترتيب فضاء مواجهة لما يسمى المميزات الدقيقة الملزمة للجميع، وترتبط أشكال الترتيب بمختلف أنواع شرف المنزلة والسلطة وبالتالي يجب أن نأخذ طبيعة ومصادر السلطة وشرف المنزلة بالاعتبار لأنها تعكس توزع أعضاء المجتمع في وضعيات اجتماعية، وبالتالي شكل التنضيد الاجتماعي.

يُشكّل ترتيب الفضاء رهانا بآثار اجتماعية تتنازع عليه المجموعة الدينية الشيعية والسنية، أن هذه الطبقات الاجتماعية بمضامين مقاربة «قورفيتش Gurvitch» تجمعات خصوصية ذات سمات معينة وهي «تتميز بوظيفة فوقية، توجهُها نح وهيكلة متقدمة في مقاومتها لتدخل المجتمع الكلي وفي معارضتها للطبقات الأخرى»[85]، وهي أحد الأسس الممكنة والمتكررة للعمل الطائفي للأقليات الدينية ليس إلا، وهي تعتبر تجمع فوق وظيفي بالعلاقة التي تقيمها مع السلطة، فيُشكّل النزاع جزءا يعرّف الطبقة الاجتماعية «إذ تشكل كل طبقة اجتماعية عالما بأكمله تريد بذلك أن تكون العالم الوحيد

---

[83]. (.GeorgeBalandier, 1968, 3)

[84]. (.Pierre Bourdieu, 1984, 62)

[85]. (George Gurvitch, 1969, 199.)

هدى العربي	المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس	houda. larbi@gmail. com

بالتماهي سواء بمجتمع كلي موجود أو بمجتمع كلي مستقبلي حيث يُرتقب اختفاء الطبقات»[86] كل طبقة أن تحل محل الطبقة المهيمنة سواء لإدراك غايتها أو أن تتمثل مصلحتها بأنها المصلحة المشتركة لجميع أفراد المجتمع.

التشيع السياسي وقضاياه في الخارطة السياسية منذ 2011 إلى اليوم

التشيع السياسي:

لقد برز الإسلام السياسي خصوصا مع الحراك العربي منذ سنة 2011، فهي ظاهرة شغلت الباحثين فتعددت تسمياتها «فنجد من يطلق عليها الصحوة الإسلامية، النهضة الإسلامية، الإحياء الديني وغيرها من الأسماء.»[87] لقد قام الإسلام السياسي الشيعي نتيجة تحركات لفريقين في إيران: فريق بزعامة الخميني وفريق يمثل تنظيم «فدائيان إسلام» بزعامة نواب صفوي قاما بتظاهرات واغتيالات سبقت الثورة الإيرانية لأنها اعتبرا أن النظام الملكي في إيران هو خطر على إسلامية البلاد ودستورها لتأسيس دولة يحكمها شرع الله في نظرهم.

وهذا ما عكس ما نعبر عنه بتدبير علاقة مع باقي التيارات السياسية وتقديم الدين بمثابة أيديولوجية تعبوية في مواجهة أفكار سياسية قيمية وضعية متمثلة في الديمقراطية من اجل الجذب والاستقطاب، التشيّع السياسي في تونس يقوم وفق آليات تسمى المنظومة الطُهرانية الشيعيّة وتتمحور مضامينها البنيوية والنفسية والاجتماعية والثقافية على مفهوم أهل البيت والصفات المعرفية والأخلاقية التي شكلت حولهم بوصفهم أشخاصا استثنائيين يجمعون بين السماوي والأرضي، وهي منظومة واجهت تجاذبات مع الأوساط الاجتماعية. تقوم على مفاهيم الموثوقية والأصالة والتي يجب أن نحذر منها في حقيقة الأمر لأنها تعكس روايات مشحونة ومنطقا عاطفيا لا عقلانيا في النظر إلى المسائل بعيدا عن العلمية. وتشكل صعوبة في الالتزام بالانتماء الوطني خارج الإطار الديني، فالمذهبية هي تسييس، ونظام طائفي سياسي ينظم العلاقات الاجتماعية بين فئات دينية ومذهبية، يُعد عاملا سلبيا مجزأ أحيانا وممهدا لانشقاقات مجتمعية.

كما يستخدم التشيع السياسي أو التشيع الحديث في إطار توظيفه» كأداة تحليلية قادرة على كشف النشاط السياسي المضطلع به باسم الإسلام. وهو شكل من أشكال استخدام الإسلام من طرف الأفراد والجماعات والمنظمات التي تسعى إلى تحقيق أهداف سياسية وهوما يُقدم إجابات سياسية للتحديات الاجتماعية الراهنة بتصور مستقبل تتكئ مؤسساته على إعادة التخصيص وإعادة اختراع المفاهيم المستعارة من التراث الإسلامي»[88].

شيعة تونس في الخارطة السياسية منذ 2011.

يضمن الدستور التونسي الجديد حرية الضمير والاعتقاد في فصله السادس «الدولة راعية للدين كافلة لحرية المعتقد والضمير وممارسة الشعائر الدينية حامية للمقدسات ضامنة لحياد المساجد ودور العبادة عن التوظيف الحزبي يحجر التكفير والتحريض على العنف»، جعل ذلك من المجموعات الدينية المتنوعة في تونس تشعر بحرية اكبر ومن ضمنهم شيعة

---

[86]. (George Gurvitch, 1969, 204.)

[87]. (عبد الواحد أو امن، 2019، 9.)

[88]. (محمد أيوب، 2018، 71.)

هدى العربي	المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس	houda. larbi@gmail. com

تونس. فقبل سنة 2011 لم تبرز للأقلية الشيعيّة في تونس مواقف سياسية بصفة علنية زمن الاستبداد السياسي إزاء القضايا الوطنية أو الدولية، وهذا ما يجعلهم متهمون بالتحالف مع النظام السياسي السابق؛ وتبدو ممارستهم للنشاط السياسي في تونس محملة بكثير من الغموض فمنهم من يؤكد نشاطهم السياسي ومنهم من ينفيه، لكن الظاهر في الأمر إتباع استراتيجيتين في ذلك؛ الأولى التسرب إلى جميع الأحزاب التونسية من يمين أو يسار والثانية تأسيس أحزاب ذات مرجعية سياسية عرف الحزب الأول باسم «حزب الله»، والثاني «حزب الوحدة»، ولم يتحصل الحزب الأول على التأشيرة القانونية في حين وتحصل الحزب الثاني عليها. فحزب الله تونس هو حزب أسسه سيف الدين العجيلي[89] في أكتوبر 2011، يستند هذا الحزب في مرجعياته على أراء فقهاء الشيعة، ويقتاد في رؤيته ومنهجه بحزب الله اللبناني، وهو على اتصال بهم ونقاش معهم على حد قوله. أما حزب الوحدة فتأسس سنة 2013[90]، وارتكزت مُنطلقاته على المرجعية الإسلامية الشيعيّة في المنهج دون الإفصاح عن ذلك، كما تتطابق مواقفه من الدولة الإيرانية، وتنتمي قياداته إلى المذهب الشيعي؛ ورغم كل هذه المعطيات فإنهم ينفون انتماء حزبهم للطائفة الشيعيّة، يهدف هذا الحزب إلى تأسيس دولة الحق والعدل استنادا إلى القرآن والسنة، كما يحمل هذا الحزب مشروع وحدة الأمة الإسلامية ويعمل على نشره بإقناع الناس به حتى يكون الأساس الذي تُبنى عليه الدولة في تشريعاتها وقوانينها ودستورها، وتنبثق برامج الحزب من كتاب الله وسنة رسوله حسب قيادته ويكون ذلك من خلال حجة إقناع الناس لا غير فيقول رئيسه» أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن»[91] بمعنى أن أهدافه وغاياته منسجمة مع بعضها البعض فإذا كانت الأهداف إسلامية فلن تبرر إلا الوسائل التي هي من جنسها أي الإسلامية الشرعية فالغايات شرعية والوسائل شرعية لأننا لا نعمل بقاعدة الغاية تبرر الوسيلة.»[92]

صورة عدد 1: شعار حزب الوحدة

يُدافع الحزب على المرجعية الإسلامية للدولة التونسية وعلى هوية مجتمعها وان المجتمع التونسي بالنسبة لهذا الحزب هو جزء من الأمة الإسلامية وأي اعتراف غير واضح في دستوره بكونه مجتمع مسلما غير مقبول بالنسبة لهذا الحزب بل هومن معوقات نهوض هذه الأمة بالنسبة لهم وللحزب فروع خارج العاصمة فنجده في ولاية قابس وولاية المنستير وفي ولاية جندوبة. أما النشاط الجمعياتي لهذه الجماعة في تونس فنجد «جمعية آل البيت الثقافية» وهي جمعية شيعية بمدينة قابس بالجنوب الشرقي للبلاد التونسية نشطت قبل الحراك الاجتماعي لسنة 2011، تأسست هذه الجمعية منذ سنة 2003 ومن الأهداف التي اشتغلت عليها المساهمة في إحياء مدرسة آل البيت ونشر ثقافتهم أيضا نشاط «جمعية المودة الثقافية، كما تأسست رابطة التسامح التونسي أوائل 2012 التي اتهمت بالسعي إلى تنفيذ المشروع الشيعي في تونس بتمويل

---

[89]. وجدنا هذا المعطى في صحيفة المغرب بتاريخ 06-09-2012. وهو ناشط في حركة النهضة قبل 2011 وغادرها إلى حزب التحرير وبعد حراك 2011 أسس حزب الله تونس والهدف من ذلك حسب قوله إصلاح عقيدة التونسيين.

[90]. تأسيس أول حزب شيعي في تونس على الرابط: https://www.turess.com/aljarida/12519

[91]. (القرآن الكريم، سورة النحل، الآية 125.)

[92]. حوار مع رئيس الحزب بشير الرويسي صحيفة الصحوة بتاريخ 24-05-2013.

هدى العربي	المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس	houda. larbi@gmail. com

إيراني عن طريق التظاهر بالدفاع عن القضية الفلسطينية وتجريم التطبيع مع الكيان الصهيوني كمطية لكسب الشرعية في تونس في مرحلة أولى ثم بعد ذلك الانطلاق في تنفيذ مشروع امتداد شيعي في تونس ومن ثم البدء في المطالبة بالاعتراف بوجود الشيعة في تونس وحقوق الشيعة»[93]، إضافة إلى ذلك ظهر النشاط الصحفي مع بروز جريدة الصحوة: إذ «أسس أحد المثقفين الشيعة جريدة أسبوعية أطلق عليها اسم الصحوة»[94]، وهو هشام بوعبيدي[95].

المضامين والقضايا السياسية للأقلية الشيعيّة تونس

مضامين يتداخل فيها الديني والسياسي

تُعتبر علاقة السياسة بالدين من أهم المواضيع التي اهتم بها علم الاجتماع «خصوصا في المجتمعات الإسلامية التي ترزح تحت تأثير صراع مزمن بين فريقين فريق الذين يريدون فك الارتباط بين السلطة والدين الإسلامي متذرعين بمقتضيات الحداثة وفريق الذين يردون توثيق الرباط بين السلطة الحاكمة والدين الإسلامي انطلاقا من فهمهم للدين الإسلامي كدين ودنيا ودولة»[96]. ففي معناه الديني لم تذكر كلمة السياسة معلنة بصراحة في القران ولكنها ذكرت بمعاني متقاربة كالملك والحكم والسلطان لكنها ذكرت في حديث نبوي [97]حيث قال الرسول (ص) «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلّما هلك نبي خلفه نبي وانه لا نبي بعدي وسيكون عليكم خلفاء»[98]، فتطورت التأويلات والأحكام بعد ذلك وأصبحت السياسة خادمة للعدل ولمقاصده، ومن هنا ظهرت الشريعة والمقاصد لدى الفقهاء في الفكر الإسلامي فكانت السياسة عمليا تساعد المفكرين والمجتهدين في الدين للتطرق للقضايا التي تمس الواقع الإنساني، المشترك في زمان ومكان بعينه وهوما أضفى عليها نُقلة نوعية فأصبح مجالها متسعا وتحرر من ضيق التأويل مرورا إلى الجوانب الإجرائية والعملية، فسعى الفقهاء بتأويلاتهم إلى فكرة الإصلاح والابتعاد عن الفساد لتُصبح السياسة متوافقة مع المصلحة المشتركة.

إن السياسة عند ابن منظور في لسان العرب هي «أساس الأمر سياسة إذا قام به وسوّسه القوم أي جعلوه يسوسهم ويقال سوّس فلان أمر بني فلان أي كلف سياستهم ويقول الجوهري سيّست الرعية سياسة أي ملكت أمرهم ويقول الحُطيئة[99] لقد سوّست أمر بنيك حتى تركتهم أدق من الطحين وقال الفرّاء السياسة القيام على الشيء بما يصلحه

---

[93].)عبد اللطيف الحناشي، 2018، 123.)

[94]. (عبد اللطيف الحناشي، 123،2018.)

[95]. وهومن مواليد سنة 1970 من جهة قفصة بالجنوب الغربي للبلاد التونسية أستاذ متخصص في الفلسفة تشيع منذ سنة 1983 تأثرا بزملائه بالجامعة التونسية في تلك الفترة.

[96]. (طيبي غماري، 2016، 297.)

[97]. حديث عدد 3268 في كتاب صحيح البخاري.

[98]. (محمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفري، 2001)

[99]. هو الشاعر أبو مُلَيْكة جرول بن أوس بن مالك العبسي المشهور بـ الحطيئة وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية وأسلم في زمن أبي بكر. ولد لدى قبيلة بني عبس.

هدى العربي	المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس	houda. larbi@gmail. com

والسياسة فعل السائس يقال يسوس الدواب إذ قام عليها وراضها والوالي يسوس رعيته»[100]، يفرض الاجتماع المسالة السياسية فهي بذلك استجابة «لطبيعة الإنسان في الاجتماع حيث تضطر كل جماعة إلى إيجاد وسيلة أو أسلوب ييسر التعامل بين أفرادها لتنزيل ما تواضعت عليه من مبادئ وبنود مشتركة مهما تباينت ولا بد من وجود أداة تنفيذية تفرضها على مهدّد الجماعة من أفرادها واصطلح على تسميتها بالسلطة فالسياسة شديدة الارتباط بالدولة أوهي فعلا الدولة وهي مجالها الحيوي فالسياسة فن إدارة الشؤون العامة انطلاقا من سلطة مركزية تقدر بالعقل مصالح الجماعة وأهدافها المشتركة وتستغل آليات متعددة لتيسير هذه المهمة الهدف مثل الإعلام والصحافة والنقابات.»[101]

إن تداخل الديني والسياسي تجلى من خلال المضامين السياسية لمفهوم ولاية الفقيه الذي مزجه الخميني إبّان الثورة الإيرانية والذي يُطلق عليه المرشد الأعلى، وهي من الأفكار التي تداولتها الصحيفة، فهذا الفقيه يعتبر نفسه نائب المهدي المنتظر الإمام المغيب أو الذي في غيبة كبرى بحسب التمثل الشيعي. ظهرت هذه النظرية السياسية ذات الخلفية الدينية لأول مرة في كتاب «عوائد الأيام للإمام احمد النراقي» في الموروث الفقهي الشيعي وتم تبنيها منذ سنة 1979 من طرف النظام السياسي الإيراني رغم أن هذه النظرية تمنح الإمام أو المرشد الأعلى سلطات مطلقة وتجعل من وجود الدولة الحديثة وجودا شكليا.

إن المجموعات السياسية الإسلامية بحكم تعريفها مُناهضة لفكرة الديمقراطية فالاعتقاد السائد يتمثل في السيادة الإلهية ثم في سيادة ولاية الإمام وهو متعارض مع فكرة سيادة الشعب، لكنها تعتمد الديمقراطية كوسيلة أداتية وذرائعية للوصول إلى السلطة وبمجرد الوصول إليها تعمل على التخلص من النظام الديمقراطي تعكس ظاهرة التشيّع السياسي سياسة المحاور الحادة فتقدم هذه الظاهرة في مجتمعنا على أنها إلتزام سياسي ذوروح قومية مقاومة وممانعة للتدخل الأجنبين طرف حركات وأحزاب تترجم في خطاباتها؛ فتبتعد عن المضامين الاجتماعية والمذهبية لتعبر عن روح قومية تتخطى روابطها حدود الدول. كما ترتبط بالتنافس الإقليمي أي انه أصبح يشمل طوائف ومذاهب لا تصنف ضمن المذهب الشيعي (الإمامي) بالمعنى العام ويقصد بذلك «العلويين» في سوريا و»الحوثيين» في اليمن، فتغيرت معاني التشيّع السياسي بالمعنى المعاصر لتتجاوز المضامين التاريخية معبرة عن معنى جديد؛ التنافس السياسي بغطاء ديني.

فتتشكل المجموعات حول مُيولات دينية قد تظهر صغيرة لكنها في حقيقة الأمر قادرة على التجمهر والتجمع ورص المنتمين لها من اجل نشاط سياسي مكثف يقوم على العمل الاتصالي فيما بينهم مكتوبا ومسموعا ومرئيا لاستعمال الفضاء الاجتماعي، كما أنها تعبر عن نوع من التقمص الوجداني الخاضع لهذه الأقلية الدينية أو ما يُشبه تكثيف التبادل الاجتماعي في كل ما فيه اقتباس سياسي جديد بغطاء ديني، وهذا في الواقع يُشير إلى تعدد المعاني السياسية الجديدة وأفول لمعاني الفردانية [102]، فستبدل فيه الهيكلية الفردانية- العقلانية بهيكلية مجتمعية أو جماعاتية –عاطفية ضمن مسار بطيء،

---

[100]. (جمال الدين ابن منظور، 2010، 108)

[101]. (صالح التومي،2017، ص43.)

[102]. (MichelMaffesoli , 1988.)

هدى العربي	المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس	houda. larbi@gmail. com

فيستطيع هذا الأقلي أو الجماعاتي الديني أن يُهيمن على حساب الفردي ويصبح قطبا جامعا لتبلور خاص بهذه الجماعة الدينية الشيعية، فهي وحدة على شكل تنقيط، وتتأسس هذه الأقلية الشيعية من» إحساس الانتماء والأخلاق والدين ومن خلال شبكة الاتصال الجماعاتية أساطيرها وطقوسها تروي تاريخ تأسيسها وتؤكد على ممارساتها مقوية بذلك تلاحمها»[103]، ضمن تجربة جماعية يُألّه فيها السياسي ومرجعياته العقدية.

لقد قدم الشيعة المسلمون في تونس فكرهم السياسي فكان بمثابة أيديولوجيا تعبوية في مواجهة أفكار سياسية قيمية وضعية كالديمقراطية والعلمانية والقومية والليبرالية من اجل الجذب ولكسب الدعم والتأثير في حراكهم السياسي، فحسب رأيهم ينقسم العالم السياسي إلى قطبين أساسيين: قطب يمثل الشرق ممثلا بالفئة المؤمنة التي تحارب الكافؤين وهم الذين يمثلون القطب الثاني المتمثل بالغرب المتكبر والمستعمر ما فتئ يشرع للباطل ويغتصب فلا يحق له، في حين يرى القطب الأول ينتمي القطب الأول لهوية جذورها ضاربة في الأعماق لأنها

تحمل قراءة سياسية ثورية تغترف من التراث الفقهي القويم يقابلها مغتربون يعانون من أزمة هوية ناتجة عن جهله بالتراث الفقهي وأزمة غياب مشروع سياسي ثوري ويدافعون عن الحق والعدل في حين أنهم يرون بان القطب الثاني يشرع للباطل ويغتصب ما لا يحق له.

قامت حركة الاتجاه الإسلامي كحركة دينية في تونس؛ بعملية التعبئة من خلال الحشد والخطابات الدينية والتأثير بتكثيف السيولة السياسية من خلال عملية الاستقطاب باسم الهوية الإسلامية لإثبات وجودها السياسي ولمعرفة مدى تأثيرها من خلال استراتيجية الاستعلاء العقدي، فتونس بالنسبة لهم دولة مسلمة وستبقى كذلك، كما تجلت هذه الاستراتيجية من خلال عدم الاعتراف بحرية الضمير و الاستعلاء السياسي بالتموقع مع محور المقاومة مثلما تروج له، فوجدت في لحظة شرعنة وستجد امتداداتها في المنظومة «السنية» من خلال مستويين: إيجاد معادل «سني» لنظرية ولاية الفقيه، والانتقال بالحركة الإسلامية من موقف «رد الفعل» إلى موقف «المبادرة.»[104]

وفي إطار محاولة السيطرة على كل المنابع الفكية للشيعة تم تصدير الثورة إلى كل مكان يتواجد فيها الشيعة، كما ساهم وجود سلطة الخميني في إيجاد عدة اذرع سياسية في المنطقة العربية عن طريق العمل على إدراجهم ضمن نظرية ولاية الفقيه ومحاولة السيطرة على الشيعة العلوية في سوريا وفي اليمن من خلال الحوثيين ودعم كل التشكيلات الشيعيّة في الخليج ليكون هؤلاء الفاعلون السياسيون قادرين على دفع ظاهرة التشيع السياسي خدمة للمشروع الإيراني.

كما عكست مضامين التشيّع السياسي من خلال صحيفة الصحوة صنفين من التمثلات، فالعالم الاجتماعي فيه «الأنا الشيعية» و «الآخر غير الشيعي»، شكلت الرؤية للانا الشيعية هوية المتشيع وحمته من الذوبان في البحر الديني الذي أحاط الطوائف الشيعيّة الصغيرة فيُنظر إليها بكونها الطاهرة، والمدافعة عن الحيز الإلاهي أي أن معرفتها كاملة صحيحة واثقة، وهي تشمل أهل الحق، والمنابع الأولى للخير؛ أما «الآخر عير الشيعي» فهو مدنس، ومدافع عن الحيز البشري أي تجارب بشرية محملة بأخطاء ونتائج سيئة، ويشمل أهل البدع والانحراف عن الدين الإسلامي، فهم منابع اغتصاب الخلافة.

---

[103]. (Michel Maffesoli, 1988,179 .)

[104]. (عبد الرحمان علال، 2018، 30.)

هدى العربي	المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس	houda. larbi@gmail. com

لقد كانت هذه الأفكار نتاج ما تمخضت عنه من أفكار الثورة الشيعية التي برزت فيها طبقة العلماء أو الملالي [105]لإدارة الدولة والحكم، سياق تاريخي خلق تحول في بنية العقل الشيعي سواء في مستوى مراجعة الأدوار أو المكانات أو الرهانات ومن هنا سنتحدث عن تحول مهم مس الممارسات والمخيال السياسي لهذه الجماعة الدينية، حيث أصبح التشيع سياسيا علاوة على مضامينه الدينية. بالتالي أصبح العقل الديني الشيعي يستبطن الزمن السياسي الذي يجب أن يصبح زمن الأسياد والأئمة المتمردين الذين يجب أن يفتكوا نصيبهم من السلطة لتعديل بوصلة الأمة الإسلامية ومن هنا انطلقت الثورة الإيرانية جاذبة ورائها منطقيات جديدة للاصطفاف السياسي الشيعي في عالمنا المعاصر.

إن التأثر بهذه الثورة وجه التفكير والتحول بين نموذجين لتصور التشيع: من التشيع الديني التقليدي إلى التشيع الثوري السياسي مثلما سيبينه التقسيم التالي:

[105]. الملالي جمع ملاّ في إيران أي المولى باللغة العربية أي السيد والمعلم.

مجلة أسئلة ورؤى

هدى العربي	المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس	houda. larbi@gmail. com

الشيعي الحديث	الشيعي التقليد
مرجعية اجتهاد وتجاوز للمقلدين	مرجعية تقليد
الشيعي الثوري المتمرد والرافض لواقع الانتظار	الشيعي الصابر والمتألم والمنتظر للأمام الغائب
الميل إلى المشاركة والفعل الثوري	الميل إلى العزلة والزهد الشيعي والاستسلام
المشاعر المعادية للغرب وللاستعمار والنضال في سبيل العدالة وضد الحكم الأجنبي وضد الاستبداد.	التحالف مع الغرب ومع القوى الدنيوية والقبول بالاستغلال
الشيعة الحمراء	الشيعة السوداء
الاجتهاد والشهادة	السلام والتقليد
مواصلة الرسالة الإسلامية والقبول بالديمقراطية والتعددية السياسية	الاكتفاء بما تحقق من الرسالة الإسلامية ورفض الديمقراطية والتعددية السياسية
القيادة والمسؤولية	الإتباع والموالاة
وجوب قيام دولة شرعية	انتظار الفرج إلى حين عودة الإمام

إن التحول في البنية الذهنية للعقل الشيعي جاء بناء على تراكمات تاريخية وسياسية عديدة لهذه الزمرة الدينية ترجمت من خلال المقالات التي تنشر داخل هذه الصحيفة، و أوضحأنها جماعة ذات مرجعية متماسكة من خلال الخطابات التي يتم ترويجها من طرف قادتها وزعمائها التي تعكس الأهمية المصيرية في حياة هذه الجماعة من أساليب مشحونة بالعواطف فضلا على إعلاء شان هويتها وقدرتها على الحفاظ على سيادة الأمة بالتركيز على الدور الحاسم للاصطفاف وتبني التشيع السياسي كموقف سياسي يرفع من كرامة المسلم في اعتقادهم.

القضايا السياسية للأقلية الشيعيّة من خلال صحيفة الصحوة:

من خلال التطرق لتناول المقالات المنشورة ضمن أعداد صحيفة الصحوة تبين لنا وجود عدة قضايا شغلت هذه الأقلية في تونس وبرزت من خلال عرض عدة مواضيع حول الخلاف الفكري والسياسي لهذه الجماعة مقابل أطروحات الجماعة السنية.

مجلة أسئلة ورؤى

هدى العربي	المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس	houda. larbi@gmail. com

الخلاف الفكري والسياسي بين أطروحتي الجماعة الشيعيّة والجماعة السنية:

يتبنى الشيعة التونسيون موقف من الإسلام السياسي السني ومرجعياته ويقوم التكوين المعتقدي السياسي الشيعي على اختلاف في نظرة الشأن السياسي عند المشروع السني والمشروع الشيعي؛ فالمشروع السني مشروع قائم على نظرية الخلافة والخليفة له دور ومنصب الحاكم وهو رأس الدولة، أما المشروع الشيعي فهو قائم على نظرية الإمامة والإمام في تمثلاتهم غائب ويجب إقامة الدولة في عصر الغيبة كضرورة تقوم على قاعدة ولاية الأمة من خلال فقيه؛ وهو الحاكم ومصدر الشريعة، وهنا يكون وجود الخليفة مخالف لقضية سلطة الإنسان على الإنسان وهي قضية غير مشروعة في الفكر الديني الإسلامي، يقتضي ذلك ضرورة وضع نظام الفصل بين السلطات وضمان توازنها ، جاء نقد ولاية الفقيه من خلال الطرح الشيعي الذي اكد وجوبا على مسالة ولاية الأمة على نفسها من خلال وكلاء وممثلين من الفقهاء يكون لهم دور تشريعي، وليس دور سلطوي فهم ليسوا مصدرا للشرعية والسيادة الإلهية العليا.

يستند الفكر السياسي الشيعي إلى عدة مقولات في رؤيته للعالم: أو لا مقولة الاستخلاف، ثانيا مقولة التكليف، ثالثا مقول الحاكمية، ويعني ذلك أن الإنسان مستخلف في هذا العالم لإعماره وإصلاحه. والمسلمون أتباع آخر الديانات وخاتمتها وهم مكلفون بالقيام بأمر الاستخلاف وبإتقان الحاكمية في الأرض لتحقيق ذلك يجب أن يكونوا مُكلفين بالحاكمية أيأن يقيموا نظاما سياسيا نموذجيا عماده الشريعة الإسلامية التي ينبغي أن تقوم على الحق والعدل.

تصنّف الدولة الشريعة أفراد المجتمع إلى مستويات فنجد مؤمنين وأهل الكتاب، أو كفار ومشركين؛ فتنتفي هنا فكرة المواطنة التي تقوم على المساواة بين جميع المواطنين، إن المشروع السياسي الشيعي يربط بين البعد الكاريزمي (الإمامة الشيعيّة يجب أن تكون للسيد)، والبعد العملي الذي يدفع إلى موضعة المقدس ولي الله والمرشد الأعلى، كما انه يقوم على تحول الشريعة إلى أيديولوجيا ومرجعية فقهية ثورية غير معزولة عن الجمهور الذي يجب أن يشارك في صنع التغيير، وهي من خصوصيات هذا الفكر. إن مقولة الحاكمية عندهم تستوجب توزع السلطة إلى ثلاثة مستويات: الرمزي أي الشرعي والمرجعية العليا وتتمظهر في المرشد الأعلى أي الولي الفقيه وهو المظهر الأبرز لشخصنة المرجعية والشريعة لأنه يقف على رأس النظام السياسي والمصلحي أي التمثيلي والتدبيري، التنظيمي، الإداري؛ وتكون الغلبة للثلاث مع بعضهم البعض من اجل مصالح الأمة واستقرار النظام. فمسالة الحاكمية وفهم وتمثل السلطة بالتفرقة والمزاوجة بين المرجعية العليا والتنظيم والتدبير ميزت هذا الفكر عن الفكر السني وهكذا اوجد الفكر السياسي الشيعي الآليات المؤسسية التي تنظم عملية تجديد النخب الحاكمة و التي أبعدتها عن الجمود، كما صححوا علاقتهم مع الجمهور بالعودة للاستفتاء والاقتراع.

ويمتد الاختلاف السياسي في المعتقدين إلى الحديث عن مفهومين أساسيين لكل مشروع سياسي، فتدافع الجماعة الشيعية على أن تطبيق الشريعة يؤدي البناء ووحدة أمة إسلامية وهي الغاية التي استخلف من اجلها الإنسان أما الجماعة الدينية السنية فتعتبر أن تطبيق الشريعة وخلافة الإنسان تكون بإرساء دولة الخلافة وتجلى هذا من خلال المفاهيم والخطابات الوارد بمقالات الصحيفة. إن المشروع العقدي الشيعي يدافع عن امة إسلامية خيارها السياسي المقاومة من اجل مشروع حضاري إسلامي في نظرهم لتأسيس حكم الله يُقابله في نظرهم مشروع سني يشرع للعنف ويقنن للوصول إلى السلطة بكل وحشية من خلال الجماعات المنبثقة عنه مثل داعش وجماعة النصرة. اجتماع سياسي يُقيم دولة بالياتها

هدى العربي	المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس	houda. larbi@gmail. com

السلطوية في نظرهم، فنتبين هنا حسب الصحيفة الهوة العميقة بين قدسية المشروع الشيعي الرمزي والروحاني لصيانة الأمة الإسلامية من الفوضى والانقسام حسب ما مضامين مقالاتها المنشورة.

خلاف سياسي بين فكرتي: الشيعة بين ولاية الفقيه وولاية الأمة على نفسها

لقد طرأت عدة تحولات على الفقه السياسي الشيعي نتيجة تغير مكانة الفقهاء الذين يستمدون السلطة من سلطة الأئمة أي سلطة دينية وسلطة دنيوية، وبذلك تغير دور السلطة الفقهية الاجتماعي، كما حدث تطور في تمثلات الفقهاء للتغيرات الجارية. فحدوث التحولات الكبرى في الفقه الشيعي دفع إلى تعطيل بعض الأحكام الشرعية لإقامة سلطة شرعية حسب اعتقادهم وهوما دفع إلى التعامل مع السلطة بوصفها مدنية إلى حين عودة الإمام الغائب فأجيز التعامل مع هذه السلطة التي لا تحظى بالشرعية الكاملة في اعتقادهم في حدود معينة بناء على الضرورة التي تقتضيها مصلحة الجماعة الدينية الشيعيّة، والقيام بالتكاليف التي لا يمكن القيام بها دون سلطة ولضرورة عدم تفويت حقوق الناس من جراء رفض التعامل مع سلطة الأمر الواقع كإقرار بضرورة التقدم والتخلص من الركود والتخلف، بالتالي تعبر هذه التحولات عن سياق تطور الفكر الشيعي.

حدث التفكير بإمكانية إنابة الإمام بتطبيق نظرية ولاية الفقيه للتدخل في المسائل التي تمس الجماعة، ولم تكن الإنابة في كل تفاصيل الشأن السياسي، بل فقطمن خلال التجديد والاجتهاد في المسائل السياسية المهمة. فالغيبة الكبرى دفعت الشيعة إلى» أن يطوروا نماذج أخرى لكي ينظموا القيادة الروحية لطائفتهم ويرسخوا شخصية أو هيئة تتمتع بسلطة مُلزمة»[106] لأن هذه الجماعة الدينية الشيعية لم تكن تستبطن البقاء كفرقة دينية ما لم يطوروا هياكل تنظيمية للطائفة ويعترفوا بهيئات أو شخصيات تتمتع بحث ممارسة السلطة.

فرغم خصوصية هذا الفكر وخصوصية البنية الثقافية والسياسية العقدية التي أحاطت به، وضبطت توجهاته تجاه السلطة والإمامة و «التي اعتبرت مسالة دينية تمت إلى أصل العقيدة وترتبط بتفويض أو تكليف للأئمة المعصومين»[107]، فان هذا الفقه الإمامي الإثني عشري أصبح يستخلف «المجتهدين من علماء المذهب على الجماعة زمن الغيبة وفي إدارة أمورها الدينية فأعطاهم ذلك سلطة مُستقلة واتصالا مباشرا بالجمهور»[108]، فكانت دعوتهم للشأن السياسي دعوة دينية تعود في أصلها إلى قانون اجتماعي وهو قاعدة تجميع الطائفي العصبي بشكله العام و الأقلي العصبي في سياقات خاصة كالسياق التونسي من اجل الملم والعمران بمعنى خلدوني لهذا اوجد الشيعة ارتباطات روحية بأهل البيت و بدعوتهم الانتساب لهم «فالحق الذي ينبغي أن يتقدر لديك انه لا تتم دعوة من الدين و الملك إلا بوجود شوكة عصبية تُظهره وتُدافع عن من يدفعه»[109]، وهذا في واقع الأمر دحض لعقيدة المهدي وفكرة الانتظار والتدخل الإلهي في التاريخي والسياسي الذي

---

[106]. (هاينس هالم،2011، 83.)

[107]. (شمس الدين الكيلاني،2009، 126.)

[108]. (شمس الدين الكيلاني، 2009، 128.)

[109]. (ابن خلدون، المقدمة، 360)

هدى العربي	المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس	houda. larbi@gmail. com

يختزل في نظرهم دولة الحق والعدل ويختزلها في حدث الغيبة وحدث العودة الذي يُخرج قوانين الاجتماعي ويبرر لقيام دولة دينية لتكون المذهبية والطائفية عصبية تستحضر التفكير السحري الذي يعلن أساطير العالم الابدي و الخلاص و الولاية تعكس رموز ومخيال الفكر الشيعي.

لقد جمد الفكر الشيعي صورة المشهد السياسي الشيعي منذ إعلان الغيبة الكبرى للإمام المهدي واختصر العمل السياسي كله على الانتظار إلى اجل غير مسمى. «وكانت نتيجة هذه العقيدة أن ظهرت الشيعة الإثني عشرية من التاريخ السياسي للأمة وحصروا أنفسهم في دائرة الحوزة العلمية واكتفوا بتغذية التشيّع بمقتضيات العزلة الشعورية في مواجهة المخاوف من الذوبان داخل طائفة الأغلبية السنية وانكفأت مرجعياتهم الدينية داخل الطائفة... لقد اكتفى قادة الإثني عشرية بحمل هم الطائفة»[110]، ومن هنا سنتطرق لنظرية ولاية الفقيه التي يتبناها اغلب شيعة العالم ومنهم شيعة تونس من خلال مقالات الصحيفة.

ولاية الفقيه.

إن نظرية الفقه السياسي الشيعي ولاية الفقيه هي تصور للسلطة من طرف الجماعة الدينية الشيعيّة المعاصرة في زمن الغيبة والذي يشترط قيادة الأمة من طرف فقيه عالم يكون وليا للأمة ومرشدها الأعلى، ولتدارك غيبة آخر إمام يعنى الفقهاء إلى الاضطلاع بعدد متزايد من وظائفه والفقه هو في الواقع العلم الذي يمس اقرب ما يكون الحياة الدينية اليومية انه الشريعة التي تضبط الجوانب المحسوسة من العقيدة ويبدوانه كان العلم الذي تأثر مباشرة بالمشكلات التي نجمت عن الغيبة»[111]، ربط الشيعة الحكم بولاية أحد الأئمة في عصره وإلا كان الحكم غير شرعيا بالنسبة لهم وبرزت هذه الأطروحة خاصة بعد انتصار الثورة الإيرانية أي يجب أن يكون الإمام فقيها يتولى الحكم في غياب الإمام المهدي أي سلطة الحكم والولاية وهو ولي يجب أن تتوفر فيه» شروط العدالة والرأي والعقل والفضل»[112]، وهو فكر سياسي خاضع طبعا لتأثيرات اجتماعية وسياسية واقتصادية وعسكرية. وتعتبر أطروحة ولاية الفقيه نفسها قاعدة للمشروع النهضوي الإسلامي المعاصر ومن هنا يأتي الارتباط العضوي بين مفهوم الولاية ومفهوم الأمة «فلا انفكاك بينهما ما دامت الحاكمية الإلهية موجودة وتتجسد في الولاية أي أنها ضمانة حقيقية للأمة ولتحريرها من قيود الاستبداد والتخلف وأيقظها من سباتها العميق»[113].

وصنفنا ممارسات الفقيه حسب ما طرح من مقالات في الصحيفة إلى ممارسات الفقيه (المعصوم وغير المعصوم)، فالمعصوم نمط السلطة لديه مصدره وحي وغير المعصوم يكون مصدر السلطة مستمد من الشريعة فينتمي الأول إلى الدوحة العلمية والثاني إلى منزلة الرفعة عن طريق المعرفة الفقهية للحفاظ على الدين والسياسة معا. تعتبر الجماعة

---

[110]. (إسماعيل الشطي،2013، 97-98.)

[111]. (كونستاس ارمينجون هاشم،2015، 18.)

[112]. (مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، 2008، 13 -14.)

[113]. (طلال عتريسي، 2013، 557.)

هدى العربي	المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس	houda. larbi@gmail. com

الشيعية أن نظرية الولي الفقيه نهضة تخرج بها من الانتظار السلبي لتمارس فعلها في عدة مجالات سياسية لكن هذه المسالة تبقى في حقيقة الأمر تعكس منطقا للاستبداد الداخلي المستمر والضغط العربي المستمر يهدد طبيعة الاجتماع التاريخي المفتوح باتجاه مجموعات مغلقة ومتشرذمة دينيا وسياسيا واجتماعيا.

ولاية الأمة على نفسها

تعكس هذه الرؤية استمرارية الأمة بالمعنى الكبير والعميق والتاريخي يستوجب ذلك الاستغناء عن عدة مقولات الاستبداد العادل ودولة الضرورة والتضحية بمقولات الأمة والجماعة والجمهور لحساب حكم الشريعة، أيأن كل ذلك هو تضحية بالعمل السياسي الفاعل والمجدي ويعني غياب الجمهور عن القرار السياسي وتحول الشورى إلى فضيلة أخلاقية وهو تغييب للمسالة السياسية عن النخبة. ومشروع الأمة يعكس في الفكر السياسي الشيعي الإيمان بتغيير المجتمعات الإسلامية من الداخل وليس بالقوة. ورغم أن مفهوم الأمة يزعزع مفهوم الدولة في الفكر السياسي الشيعي ويستخف به و «لا يأخذها بمآخذ الجد له مسبقات في الفكر السياسي العربي الحديث فكر النهضة الإصلاحي حيث نظر إلى الدولة بوصفها أداة لهدف أعلى منها أو أداة لوظائف تدعي العمل على القيام بها: مصالح الأمة عن طريق شرعيتها في عيون النخب الإصلاحية الجديدة تابعة أو متعلقة بمدى تحقيقها لتلك المصالح بمعنى آخر ظلت مرتبطة بشخص الحاكم الذي ظل طبعا أقوى من المؤسسات والنخب المستجدة.»[114] إن ولاية الأمة على نفسها يستوجب استحداث المؤسسات الضرورية لتلك الولاية، هذه الأمة المشحونة بمضامين سياسية واجتماعية لها مضمون واحد أو كيان واحد بمعنى من معاني التوحيد وهولا يتنافى مع التنوع أبدا حتى على صعيد تعدد الأئمة والوحدة السياسية للأمة المنشودة لا تقوم بالضرورة على أنموذج تاريخي سابق بل يجب أن تخلق نموذجها الخاص وان تكون منسجمة مع حاجيات المسلمين ومع واقع النظام العالمي، وتكون ثابتة ووسطية في مواقفها. لقد تحول الدين إلى سياسة نخبوية تعبوية يحمل رؤية إصلاحية للعالم، ورؤية إحيائية للتراث الديني ففي الفكر السياسي الشيعي، يجب أن يكون توحيد الأمة بصيغة من الصيغ التي يمكن أن تنسجم مع الكتل الدولية القائمة فعلا أو باعتماد صيغ مستحدثة خاصة في ظل صراح أجنحة كبيرة تعكس صراع طرفين قطب يترأس الجماعة السنية بقيادة السعودية وقطب تتسيده الجماعة الشيعيّة بقيادة ايران.

تعكس العلاقة السلطوية تمثلا باطنيا للجماعة الشيعية في تونس يجمع بين الله – المرشد الأعلى- الشعب في حقيقة الأمر فتكون المعادلة ظاهريا الشعب- الحاكم –القانون لكن هذا لا يكون خاليا من ازدواجية في تمثل السلطة، تعكس انقساما في الهوية الوطنية تنقسم بين الدين الإلهي والقانون الوضعي.

بناء عليه تبرز الجماعة الشيعية في تونس كأقلية متمركزة على ذاتها تبالغ في تقدير الذات والاستعداد الدائم للتضحية من اجل الجماعة، تستبطن نزعة تعزيز الأنا الجماعية كامتداد لمنظومة عقائدية وفكرية وأخلاقية تقوم بترتيب وتصنيف الآخر المختلف عنها، لها نظرة متعالية عنه. إن هذه المركزية الإثنية تنزع بالمجتمع نحو قيم جديدة لأنها تعتبر نفسها المرجع الأساسي لباقي المكونات الاجتماعية لشعورها بالتفوق الذي قد يتخذ أشكالا من الغطرسة و ازدراء الآخر أيضا لتبنيها مقولات وتعابير لفهم العالم والحكم عليه انطلاقا من تجربتها التاريخية الذاتية إطارها الثقافي وبيئتها الاجتماعية ، و لتبنيها

---

[114]. (شمس الدين الكيلاني،2009، 228-229.)

هدى العربي	المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس	houda. larbi@gmail. com

منطق أن ما يصلح لذاتها يصلح ضرورة للآخر وبالتالي تعميم مواقفها و تصوراتها على مستوى العالم اجمع وهو مخيال جماعي أسطوري يعكس تمثيلاتها الخصوصية ورؤيتها للكون ، فالعناصر الأسطورية أو ما يسمى بالعامل الميثي «قد لعب دورا مهما في الدفع بعجلة التاريخ و تحريك الصراع فيه» مثلما نبه المفكر محمد أركون، فلقد شكلت الشخصيات الشيعية شخصيات نموذجية مثلما تشكلت صورة الإمام علي بن أبي طالب أو صورة الإمام المهدي، لقد مثلت الذاكرة الجماعية للشيعة في تونس ميدانا فسيحا وحركيا لمخيال فريد أثرت في الوعي الشعبي ورسخت أعرافا وشعائر اجتماعية لها خصوصيتها والاهم منذ ذلك قدرتها على دعم التمذهب وترسيخه من خلال مراقبة فاعليها الدينيين واستراتيجيات عملهم خدمة لهويتها الجماعية.

الخاتمة

تتعدد المواقف من الأحزاب والمنظمات الوطنية من هذه جماعة الشيعة الدينية التي يعتبرها أغلبهم ذراعا لتوسع إيران في المنطقة، بعيدة عن كل انتماء اجتماعي وثقافي تونسي، لان المخيال الجمعي يستبطن في داخله مشروعية الوجود السني المالكي فقط، وهوما سبب ضغوطات كثيرة موجهة نحو هذه الجماعة ونشاطاتها منها، نشاط هذه الصحيفة التي آلت إلىالأفول بعد ثلاث سنوات من تأسيسها، وهذا ما يطرح علينا بجدية التطرق إلى مسالة المشترك بين الجماعات الدينية المشكلة للنسيج الاجتماعي في تونس والتساؤل عن جدوى الحديث عن التعددية المكفولة في الدستور و بحكم القانون والمرفوضة على أرض الواقع.

هدى العربي	المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس	houda. larbi@gmail. com

البيبلوغرافيا

المراجع باللغة العربية :

أبي العباس احمد بن محمد بن عذاري، 2013، البيان المُغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تونس، دار الغرب الإسلامي.
احمد سعد العوفي،2017، «الهوية الشيعيّة في صيرورة سياسة تطور مجال القوة وإعادة إنتاج الهوية الشيعيّة في السعودية»، في المسالة الطائفية صناعة الأقليات في الوطن العربي، الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
أرجوان أبادوراي، 2010، الخشية من الأعداد الصغيرة: دراسة في جغرافية الغضب، ترجمة مفيدة مناكري لبيض، ابوظبي، هيئة ابوظبي للثقافة والتراث.
أسامة شحادة وهيثم الكسواني، 2011، الموسوعة الشاملة للفرق المعاصرة في العالم: التجمعات الشيعيّة في بلاد إفريقيا العربية، القاهرة، مكتبة مدبولي.
إسماعيل الشطي، 2013، الإسلاميون وحكم الدولة الحديثة، الرباط ولبنان والكويت، دار الأمان ومنشورات ضفاف ومكتبة آفاق.
إكرام عدنني،2013، سوسيولوجيا الدين والسياسة عند ماكس فيبر، بيروت، منتدى المعارف.
برهان غليون،2013، المسالة الطائفية ومشكلة الأقليات، الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
البشير العربي، 2017، سوسيولوجيا ثورات الربيع العربي المغدورة ومستقبل الإسلام السياسي، صفاقس، دار النشر كونتاكت.
جان بول ويليم، 2001، الأديان في علم الاجتماع، ترجمة بسمة بدران، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
جماعي، 2008، الإمام الخميني وتجديد الفقه السياسي أضواء على نظرية الفقيه، بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، جزء أول.

هدى العربي	المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس	houda. larbi@gmail. com

جماعي،2019، الشيعة العرب: الهوية والمواطنة، الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
جمال الدين ابن منظور، 2010، لسان العرب، لبنان، دار صادر، ج2.
سالم لبيض،2017، الأقلية البربرية في تونس الاستعمالات الثقافية والسياسية للمجموعات البربرية في المغرب العربي، تونس، سوتيميديا للنشر والتوزيع، ط2.
سعود المولى،2016، «المرجعية والحزب والجولة المدنية والمواطنة في الفقه السياسي الشيعي المعاصر»، في كتاب الإسلاميون وقضايا الدولة والمواطنة، الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
سليم مطر، 2003، جدل الهويات صراع الانتماءات في العراق والشرق الأوسط، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
شمس الدين الكيلاني،2009، الجماعة وتحولاتها التجربة السياسية العربية الإسلامية في فكر رضوان السيد، لبنان، الشبكة العربية للأبحاث ودراسة السياسات.
صالح التومي،2017، الإسلام السياسي في شمال إفريقيا، تونس، الدار المتوسطية للنشر.
صالح زهر الدين، 2012، الحركات والأحزاب الإسلامية وفهم الآخر، لبنان، دار الساقي.
صلاح الدين العامري، 2012،» ظاهرة التشيّع في تونس: قراءة في أهم أطوارها»، ضمن كتاب الخارطة التونسية بعد الثورة السلفيون، التقدميون، الشيعة، تونس، مركز المسبار للدراسات والبحوث.
طلال أسد، 2017، جينيالوجيا الدين: الضبط وأسباب القوة في المسيحية والإسلام، ترجمة محمد عصفور، لبنان، دار المدار الإسلامي.
طلال عتريسي، 2013،» تجربة مشاركة حزب الله السياسية في لبنان بين ولاية الفقيه وولاية الأمة على نفسها»، في الإسلاميون ونظام الحكم الديمقراطي اتجاهات وتجارب،الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

مجلة أسئلة ورؤى

هدى العربي	المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس	houda. larbi@gmail. com

طيبي غماري،2016، «أزمة الإسلام السياسي المعاصر إشكاليات التحول من جماعة المؤمنين إلى دولة مؤمنين»، في كتاب الإسلاميون وقضايا الدولة والمواطنة، الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،الجزء الأول.
عبد الإله بلقزيز، 2005، تكوين المجال السياسي الإسلامي : النبوة والسياسة، لبنان، مركز الوحدة العربية.
عبد الرحمان علال،2018، «الإسلام السياسي أصوله النظرية وتجلياته الراهنة»، في مجلة ذوات عدد 44 بعنوان الإسلام السياسي وسؤال الديمقراطية.
عبد السلام حيمر،2008، في سوسيولوجيا الخطاب من سوسيولوجيا التمثلات إلى سوسيولوجيا الفعل، الشبكة العربية للأبحاث.

عبد اللطيف الحناشي،2018، الدين والسياسة في تونس والفضاء المغاربي بين الإرث التاريخي وإكراهات الواقع، تونس، منشورات سوتيميديا.
عبد اللطيف الهرماسي، 1985، الحركة الإسلامية في تونس، تونس، بيرم للنشر.
عبد اللطيف الحناشي،2018، الدين والسياسة في تونس والفضاء المغاربي بين الإرث التاريخي وإكراهات الواقع، تونس، منشورات سوتيميديا.
عبد اللطيف الهرماسي، 1985، الحركة الإسلامية في تونس، تونس، بيرم للنشر.
عبد اللطيف الهرماسي،2018، المجتمع والإسلام والنخب الإصلاحية في تونس دراسة مقارنة من منظور علم الاجتماع التاريخي، الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
عبد الواحد أوامن، 2019، إطار نظري ومفاهيمي لحركات الإسلام السياسي»، في كتاب تجارب الإسلام السياسي بعد ثورات الربيع العربي: دراسة التحديات الراهنة وآفاق المستقبل، ألمانيا، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية».
فرانسوا تويال، 2007، الشيعة في العالم صحوة المستبعدين واستراتيجياتهم، لبنان، دار الفرابي.

هدى العربي	المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس	houda. larbi@gmail. com

القران الكريم
كونستاس ارمينجون هاشم،2015، المذهب الشيعي والدولة رجال الدين واختبار الحداثة، ترجمة محمد احمد صبح، سورية، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع.
لطفي حجي،2018، إسلام السلطة وإسلام الجماعة محنة امة، تونس، الدار المتوسطية للنشر.
محمد السماك، 2000، الاستغلال الديني في الصراع السياسي، بيروت، دار النفائس.
محمد الفاضل اللافي، 2011، دراسة عن الفرق والمذاهب دراسة تاريخية منهجية، تونس، دار التنوير.
محمد أيوب، 2018، «الوجوه المتعددة للإسلام السياسي»، في مجلة ذوات عدد 44 بعنوان الإسلام السياسي وسؤال الديمقراطية.
محمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفري، 2001، الجامع المسند الصحيح من امور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وايامه صحيح البخاري، بيروت،دار طوق النجاة للنشر والتوزيع والاعلام.

مراد الضويوي، 2014، انتروبوبولوجيا المصطلح في الثقافة العربية الاسلامية، تونس، دار سحر للنشر.
المنصف وناس،1988، الدولة والمسالة الثقافية في تونس، تونس، دار الجميل
هاينس هالم،2011، الشيعة، ترجمة محمود كبيتو، بغداد، بيت الوراق.
المراجع باللغة الفرنسية:
(George Balandier, 1968, «Stratification sociales primitives et pouvoir politique», in perspective de la sociologie contemporaine, Paris, PUF.
(George Gurvitch, 1969, La vocation actuelle de la sociologie, Paris, PUF.

هدى العربي	المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس	houda. larbi@gmail. com

(Pierre Bourdieu, 1984, questions de sociologie, Paris, PUF.
George Gurvitch, 1960, Traité de sociologie, Paris, PUF.
Michel Maffesoli, 1988, le temps des tribus : le déclin de l'individualisme dans les sociétés postmodernes, Paris, édition le livre de poche.

الروابط الالكترونية :

https://middle-east-online.com/
https://www.babnet.net/rttdetail-59216.asp
https://ar.tunisienumerique.com/54891/
https://iqna.ir/ar/news/2481969/
http://37.220.19.5/ar/doc/news/232128/txt/
https://www.alarabiya.net/ar/arab-and-world/2013/01/15/
http://arabic.al-shia.org/
https://www. youtube. com/watch?v=j3bO2PraM5Y
https://www.turess.com/aljarida/12519